

جامعة النّجاح الوطنيّة
كلية الدراسات العليا

العلاقة بين المناسبات ومقاصد القرآن في سور الحواميم

إعداد

هداية عبد الرحمن محمد الميمني

إشراف

أ. د. عودة عبد الله

د. سعيد إبراهيم دويكات

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النّجاح الوطنيّة في نابلس، فلسطين.

2020م

العلاقة بين المناسبات ومقاصد القرآن في سور الحواميم

إعداد:

هداية عبد الرحمن محمد الميتاني

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 11 / 11 / 2020م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع

1. أ. د. عودة عبد الله / مشرفاً ورئيساً

2. د. سعيد دويكات / مشرفاً ثانياً

3. د. ناصر عبد الجواد / ممتحناً خارجياً

4. د. منتصر الأسمر / ممتحناً داخلياً

الإهداء

أهدي عملي هذا إلى من اشتاقت الروح للقياء، وورود حوضه، والشرب من يده الشريفة محمد (عليه وسلم).

وإلى من زرع في قلبي حب الدين والوطن، وعلمني معنى الثبات وقت المحن، إلى من كان العرقُ يَكللُ جبينه لكي يرانا في أعالي القمم، إلى من علمني برحيله معنى الصبر وقت رحيل النعم، والدي الغالي رحمه الله تعالى.

وإلى من دعمتني بالحب والحنان، ودفعتني نحو العلم والسير للأمام، إلى من نذرت عمرها في أداء رسالة صنعتها من أوراق الصبر، وطرزتها في ظلال الدهر على سراج الأمل، إليك يا نبض الفؤاد أُمي الحبيبة.

وإلى من أشدُّ بهم أزمري، وأسند بهم ظهري، إلى من حبهم يجري في عروقي، إخوتي: أيمن، وأيسر، وعامر حماهم الله.

وإلى من شاركني أفراحي وأتراحي، والقلب يسعد بلقياهن، إلى حبيبات قلبي، أخواتي: رانيا، ورسمية، وشروق، وباسمة، وكفاية، ولؤلؤة حفظهن الله.

وإلى شريك حياتي زوجي أدهم جودة، أطال الله في عمره.

إليهم جميعاً أهدي هذا الجهد، سائلة المولى عز وجل أن يتقبله ويجعله في ميزان حسناتي.

شكر وتقدير

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وبعد:

فإنني أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لجميع أعضاء هيئة التدريس في كلية الشريعة قسم أصول الدين، كما أتقدم بالشكر للأستاذ الدكتور: عودة عبد الله، والدكتور سعيد دويكات حفظهما الله ورعاهما؛ لتفضلهما بقبول الإشراف على هذه الرسالة؛ ولما أظهره لي من حسن التعامل والتوجيه والإرشاد والمتابعة؛ من أجل إخراج هذا العمل بهذه الصورة، فجزاهما الله عني خير الجزاء، ونفع بهما الإسلام والمسلمين.

ومن الواجب عليّ في هذا المقام أن أتقدم بالشكر والامتنان لعضويّ لجنة المناقشة؛ المناقش الداخلي الدكتور: منتصر الأسمر، والمناقش الخارجي الدكتور: ناصر عبد الجواد، لتكرمهما بمناقشة هذه الرسالة، وإثرائها بتوجيهاتهما النيرة، سائلة المولى عز وجل أن يبارك في علمهما.

كما أتقدم بالشكر والامتنان لكل من أبدى لي نصيحة، أو لفت نظري إلى معلومة أو جزئية تكمل هذا البحث، وأسأل المولى عز وجل أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم جميعاً، والحمد لله رب العالمين.

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

العلاقة بين المناسبات ومقاصد القرآن في سور الحواميم

أقرُّ بأنَّ ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه
حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة علمية أو بحث
علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the
researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other
degree or qualification.

Student's name: **اسم الطالب: هداية عبد الرحمن محمد الميتاني**

Signature: **التوقيع:**

Date: **التاريخ: 2020/11/11**

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
ج	الإهداء
د	الشكر والتقدير
هـ	الاقرار
و	فهرس المحتويات
ط	الملخص
1	مقدمة
6	الفصل الأول: مفهوم علم المناسبات ومقاصد القرآن وعلاقتها بترتيب القرآن الكريم
6	المبحث الأول: مفهوم علم المناسبات
6	المطلب الأول: معنى المناسبة في اللغة
7	المطلب الثاني: معنى المناسبة في الاصطلاح
10	المبحث الثاني: مفهوم مقاصد القرآن الكريم
10	المطلب الأول: معنى المقاصد في اللغة
	المطلب الثاني: معنى مقاصد الشريعة في الاصطلاح
12	المطلب الثالث: معنى مقاصد القرآن في الاصطلاح
14	المبحث الثالث: ترتيب الآيات والسور في القرآن الكريم
14	المطلب الأول: ترتيب الآيات في القرآن الكريم
15	المطلب الثاني: ترتيب السور في القرآن الكريم
23	الفصل الثاني: أهمية علم المناسبات ومقاصد القرآن والعلاقة بينهما وطرق الكشف عنهما
24	المبحث الأول: أهمية علم المناسبات وعلم مقاصد القرآن في فهم القرآن الكريم
24	المطلب الأول: أهمية علم المناسبات في فهم القرآن الكريم
27	المطلب الثاني: أهمية علم المقاصد في فهم القرآن الكريم
30	المبحث الثاني: طرق الكشف عن المناسبات ومقاصد القرآن الكريم
30	المطلب الأول: طرق الكشف عن المناسبات
34	المطلب الثاني: طرق الكشف عن مقاصد القرآن الكريم

37	الفصل الثالث: دور علم المناسبات في بيان المقاصد القرآنية في سور الحواميم
38	المبحث الأول: العلاقة بين علم المناسبات ومقاصد القرآن
40	المبحث الثاني: دور كل من علم المناسبات والمقاصد في دلالة أحدهما على الآخر في سور الحواميم
40	المطلب الأول: المقاصد القرآنية المشتركة في سور الحواميم من خلال علم المناسبات
43	المطلب الثاني: مقاصد القرآن الكريم في السورة الواحدة من سور الحواميم من خلال علم المناسبات
60	المبحث الثالث: دور علم المناسبات في بيان العلاقة بين آيات الموضوع الواحد في سور الحواميم
62	الفصل الرابع: دراسة تطبيقية لسور الحواميم
63	المبحث الأول: تعريف عام بسور الحواميم
63	المطلب الأول: بين يدي سورة غافر
64	المطلب الثاني: بين يدي سورة فصلت
66	المطلب الثالث: بين يدي سورة الشورى
67	المطلب الرابع: بين يدي سورة الزخرف
68	المطلب الخامس: بين يدي سورة الدخان
69	المطلب السادس: بين يدي سورة الجاثية
70	المطلب السابع: بين يدي سورة الأحقاف
71	المبحث الثاني: مقاصد سور الحواميم
71	المطلب الأول: المقاصد العامة لسور الحواميم
92	المطلب الثاني: المقاصد الخاصة لكل سورة من سور الحواميم
111	الخاتمة
113	المصادر
114	مسرد الآيات القرآنية
138	مسرد الأحاديث النبوية
139	المصادر والمراجع
B	Abstract

العلاقة بين المناسبات ومقاصد القرآن في سور الحواميم

إعداد

هداية عبد الرحمن محمد الميثاني

إشراف

أ. د. عودة عبد الله

د. سعيد دويكات

الملخص

هذه الرسالة دراسة تطبيقية على سور الحواميم لكشف العلاقة بين المناسبات ومقاصد القرآن، إذ العلاقة بينهما تكاملية؛ فكل منهما يساعد على فهم الآخر، وكلاهما يساعد في تفسير القرآن الكريم.

وقد قمتُ بتقسيم الرسالة إلى أربعة فصول ومقدمة وخاتمة، كان الحديث في المقدمة عن أهمية هذا الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وأما بالنسبة للفصول، فقد كان الفصل الأول منها يدور حول معنى المناسبات ومقاصد القرآن في اللغة والاصطلاح، وترتيب القرآن الكريم، ثم يأتي الفصل الثاني بعنوان أهمية علم المناسبات ومقاصد القرآن والعلاقة بينهما وطرق الكشف عنهما، وأما الفصل الثالث فقد بين دور علم المناسبات في بيان المقاصد القرآنية في سور الحواميم، كما حوى الفصل الرابع على الدراسة التطبيقية لسور الحواميم.

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، كان من أهمها أن العلاقة بين علم المناسبات ومقاصد القرآن علاقة تكاملية، كلاً منهم يكمل الآخر، وكلاهما وسيلة من وسائل فهم وتفسير القرآن الكريم.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله الذي جعل كتابه العزيز مناراً للسائرين، وهداية للسالكين، وتبصرة للمتقين، وحجة على الخلائق أجمعين، أنزله ليتفكر فيه العاقلون، ويتدبره عباد الله الصالحون، فأنزلت عليهم بمدارسته السكينة، وغشيتهم بسببه الرحمة، وحفتهم لأجله الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، فله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين. والصلاة والسلام على من أرسله ربه هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أما بعد:

فمن أعظم نعم الله عز وجل نعمة القرآن الكريم، كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزل من حكيم حميد، كتاب جعله لنا شرفاً، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ 01، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ 44 زخرف، والذكر هنا بمعنى الشرف والرفعة والمجد والعلو، وما من شيء يكون بهذه العظمة والمنزلة إلا وله حقوق وواجبات على من أنزل إليهم، فواجبات الأمة تجاه هذا القرآن العظيم هي: الاستماع، والتلاوة، والحفظ، والتدبر، والعمل، وأعظم هذه الواجبات: هو التدبر المورث للعمل، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ص: 92.

ولا شك أن علم التفسير قد نال المرتبة الأولى من حيث الاهتمام؛ لتعلقه مباشرة بالكتاب العزيز، ولا تخفى عظمة الجهود التي بذلها علماء التفسير القدماء في بيان كتاب الله. وقد برز عند علماء التفسير المعاصرين لون جديد من التفسير يقوم على تفسير آيات القرآن الكريم وسوره وفقاً لمقاصدها، وترابط الآيات والسور مع بعضها البعض، فمعرفة مقصود السورة وموضوعها، ومعرفة تناسب الآيات والسورة لما قبلهما وما بعدهما يعين على معرفة الترابط في القرآن الكريم، ومن يتأمل نظم الآيات القرآنية وكلماتها وتركيبها وأسلوبها في التوفيق بين الآيات وحسن الربط،

يجدها كأنها سبيكة واحدة كالبناء المحكم، وهو ما سأسلط الضوء عليه في هذه الرسالة من خلال سُور الحواميم.

الدراسات السابقة:

بعد البحث المستفيض لم يتم العثور على دراسة تحمل العنوان نفسه، ولكن تم العثور على بعض الأبحاث والرسائل العلمية التي تناولت موضوع علم المناسبات وأخرى تناولت موضوع مقاصد القرآن الكريم، ومن أهمها:

1. أثر المناسبات في توجيه المعنى في النص القرآني، للباحث: محمد عامر، رسالة علمية من جامعة الكوفة، سنة النشر: 2011.

وقد ركزت هذه الدراسة على بيان أثر المناسبة في توجيه المعنى في الآيات من خلال توجيه العدول عن الأصل في الفاصلة بالتقديم والتأخير والحذف والزيادة، كما ركزت على دور المناسبة في بيان المعنى في الآيات التي تتحد في السياق وتختلف في الفواصل على مستوى السورة الواحدة أو السور المختلفة.

2. المختارات من المناسبات بين السور والآيات، للباحثة: ابتسام عمر العمودي، الدائري الشرقي، الرياض، سنة النشر: 1436هـ.

وقد ركزت هذه الدراسة على بيان المناسبة بين بداية السورة وخاتمتها، وكذلك بيان المناسبة بين الآيات في السورة الواحدة.

3. مقاصد القرآن الكريم أصولها وتطبيقاتها عند المفسرين، للباحث: فاضل أحمد حسين الجواري، مجلة جامعة ديالى، العراق، سنة النشر: 2013.

وقد ركزت هذه الدراسة على بيان أن الفهم المقاصدي لم يقتصر على مؤلفات التفسير في آيات الأحكام، وإنما هي سمة لجملة من التفسير قديماً وحديثاً.

4. التفسير المقاصدي لسور القرآن الكريم في ظلال القرآن انموذجاً، للباحث: وصفي عاشور أبو زيد، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، سنة النشر: 2013.

وقد ركزت هذه الدراسة على بيان أنواع التفسير المقاصدي وقسمها إلى قسمين: عام وخاص، وبيان أهم المقاصد المستفادة من التعامل المقاصدي مع القرآن الكريم، وهي: امتثال أمر الله بالتدبر ومعرفة الأسرار والغايات، والترجيح بين أقوال المفسرين، وأخيراً تيسير فهم السور وحفظها، وتهدف أيضاً إلى بيان أهمية التفسير المقاصدي في التعامل مع سائر مناهج المفسرين.

5. أمهات مقاصد القرآن طرق معرفتها ومقاصدها، للباحث، عز الدين بن سعيد كشنيط الجزائري، طبع في الاردن، سنة النشر: 2012.

وقد ركزت هذه الدراسة على استخلاص أهم مقاصد القرآن الكريم، ومن ثم بيان معايير تصنيف هذه المقاصد وترتيبها بما يُبرز قيمتها، ثم تصنيفها، وترتيبها حسب درجة أهميتها.

وبعد ذكر الدراسات السابقة نبين هنا أهم ما تتميز به هذه الدراسة عن الدراسات السابقة، فهي تبحث عن صلة الربط بين المناسبات ومقاصد القرآن وتبين أن العلاقة بينهما تكاملية، أما الدراسات السابقة فهي تدرس موضوع المناسبات ومقاصد القرآن كل منهما على حدة.

أهمية الموضوع:

1. يُعدُّ هذا العلم من العلوم المهمة التي تكشف عن وجه الإعجاز في ترتيب القرآن ونظمه.
2. البحث في هذا الموضوع يحفِّز على تطبيق ما ورد في الآيات القرآنية من أوامر ونواهي.

أسباب اختيار الموضوع:

1. الإسهام في تكملة جهد الباحثين في علم المقاصد.
2. الميل الشخصي، والرغبة في التعرف على العلاقة التي تربط المناسبات بمقاصد القرآن، والذي ولَّد هذه الرغبة، وشجعتني لاختيار هذا الموضوع بالإضافة إلى ما سبق: عدم وجود دراسة متخصصة تعالج هذا الموضوع بصورة مستقلة.

مُشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. ما أهمية مقاصد القرآن والمناسبات في فهم القرآن الكريم؟
2. ما الرابط بين المناسبات ومقاصد القرآن الكريم؟
3. ما المشتركات المقاصدية بين سور الحواميم؟

منهجية البحث:

1. المنهج المتبع في هذه الدراسة هو: المنهج الاستنباطي؛ وذلك من خلال تتبع سور الحواميم، ومن ثم دراسة كل سورة على حدة، وفق منهجية الربط بين آياتها، ومن ثم الكشف عن المقاصد المشتركة بين سور الحواميم.
2. توثيق المعلومات توثيقاً علمياً، بحيث يتم التوثيق كاملاً عند أول ذكر للمرجع، ثم بعد ذلك الاكتفاء بذكر اسم الشهرة واسم الكتاب والجزء والصفحة.
3. الترجمة للأعلام المغمورين الوارد ذكرهم في الرسالة، والاكتفاء بالتعريف بهم في أول ذكر لهم.
4. تدعيم الرسالة بذكر بعض الشواهد من الأحاديث الصحيحة والأقوال المأثورة.
5. نسبة الأحاديث إلى مصادرها، فإذا كان في الصحيحين فيكتفي بنسبته إليهما، أما إذا كان من مصادر أخرى فإنه يتم ذكر حكم أحد علماء الحديث عليه.
6. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من المصحف الشريف، وتوثيقها بالنص.
7. الحرص على توازن المادة العلمية في فصول الرسالة، وقد تم تقسيم كل فصل إلى مباحث رئيسية، يتفرع منها عدد من المطالب.
8. كتابة أبرز النتائج التي تم التوصل إليها في نهاية البحث.

خطة البحث

اشتملت خطة البحث على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وذلك على النحو الآتي:

الفصل الأول: مفهوم علم المناسبات ومقاصد القرآن وعلاقتها بترتيب القرآن الكريم

المبحث الأول: مفهوم علم المناسبات

المبحث الثاني: مفهوم مقاصد القرآن الكريم

المبحث الثالث: ترتيب الآيات والسور في القرآن الكريم

الفصل الثاني: أهمية علم المناسبات ومقاصد القرآن والعلاقة بينهما وطرق الكشف عنهما

المبحث الأول: أهمية علم المناسبات وعلم مقاصد القرآن في فهم القرآن الكريم

المبحث الثاني: طرق الكشف عن المناسبات ومقاصد القرآن الكريم

الفصل الثالث: دور علم المناسبات في بيان المقاصد القرآنية في سور الحواميم

المبحث الأول: العلاقة بين علم المناسبات ومقاصد القرآن

المبحث الثاني: دور كل من علم المناسبات والمقاصد في دلالة أحدهما على الآخر في سور الحواميم

المبحث الثالث: دور علم المناسبات في بيان العلاقة بين آيات الموضوع الواحد في سور الحواميم

الفصل الرابع: دراسة تطبيقية لسور الحواميم

المبحث الأول: تعريف عام بسور الحواميم

المبحث الثاني: مقاصد سور الحواميم

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات

الفصل الأول

مفهوم علم المناسبات ومقاصد القرآن وعلاقتها بترتيب القرآن الكريم

المبحث الأول: مفهوم علم المناسبات

المبحث الثاني: مفهوم مقاصد القرآن الكريم

المبحث الثالث: ترتيب الآيات والسور في القرآن الكريم

المبحث الأول

مفهوم علم المناسبات

المطلب الأول: معنى المناسبة في اللغة

يدور معنى المناسبة في اللغة حول اتصال شيء بشيء، ومنه النسب، سُمِّي بذلك لاتصاله والاتصال به، تقول: فلان نسيب فلان، تعني: أنه متصل به بنوع قرابة¹.

والنسب: "اشتراك من جهة أحد الأبوين، وذلك ضربان: نسب بالطول كالاشتراك من الآباء والأبناء، ونسب بالعرض كالنسبة بين بني الإخوة، وبني الأعمام"². قَالَ تَعَالَى: ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ الفرقان:45، "ونقول: فلان حسيب نسيب؛ أي ذو حسب ونسب"³.

ونقول: "بين الشيئين مناسبة وتناسب أي مُشاكلة وتَشاكل، والمناسبة: المُشاكلة، والمُشاكلة: المماثلة"⁴، "وقولنا: ليس بينهما مناسبة، أي مُشاكلة"⁵، "والنسيب: الطريق المستقيم، لاتصال بعضه من بعض"⁶.

يتضح مما سبق أنَّ مادة (نسب) تجمع أكثر من معنى، فهي تأتي بمعنى: المقاربة والمماثلة والاتصال والتشابك.

¹ - ينظر: ابن فارس، أحمد بين فارس القزويني (ت:395هـ)، معجم مقاييس اللغة، ق: عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، (ط1979\1م)، (423\5).

² - الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت:502هـ)، المفردات في غريب القرآن، ق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، (ط1412\1هـ)، (801\1).

³ - الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت:538هـ)، أساس البلاغة، ق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1419\1هـ)، (265\2).

⁴ - الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت:1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الرياض، (ط1965\1م)، (265\4).

⁵ - الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت:393هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، (ط1407\4هـ)، (223\1-224).

⁶ - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (424\1).

المطلب الثاني: معنى المناسبة في الاصطلاح

إن القرآن الكريم كتاباً محكم السرد ودقيق السبك وأسلوبه متين وجميع آياته متصلة وكأنه سبيكة واحدة وعقد فريد نُظِّمَت آياته على أكمل الوجوه وأتمّها، وقد وصف الله تعالى آيات القرآن الكريم في كتابه العزيز حيث قال تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ وَتُفَصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾﴾^١ ومن العلوم التي اتَّخذت القرآن الكريم على أنه وحدة واحدة، وأن آياته آخذة بأعناق بعض هو علم المناسبات في القرآن الكريم حيث يتم تعريفه على أنه:

"ارتباط أجزاء الكلام بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة فيصير التآلف بينها حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"^١.

وعرفها البقاعي بأنها: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال"^٢.

وقال السيوطي عن المناسبات: "مرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه"^٣.

ويقول الدكتور مصطفى مسلم: "والمناسبة في كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وارتباط الآية الواحدة بما قبلها وما بعدها"^٤.

والذي تراه الباحثة أنَّ أنسب التعريفات هو تعريف الدكتور مصطفى مسلم؛ لأنه يشتمل على ثمره هذا العلم؛ "وهي الاطلاع على الرتبة التي يستحقها هذا الجزء بسبب ما له بما وراءه وما

^١ - الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين (ت: 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، ق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، (ط1 1376هـ)، (361).

^٢ - البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ق: عبد الرازق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، (1415هـ)، (61).

^٣ - السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، ق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ط1 1394هـ)، (371\3).

^٤ - مسلم، مصطفى، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، (ط4 1426هـ)، (58).

أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب"¹، كما أنّ هذا التعريف يشمل أنواع المناسبات سواء كانت بين السورة والسورة، أو بين الآيات في السورة الواحدة، أو في الآية الواحدة.

وبناء على ما سبق يمكننا القول بأن ثمرة علم المناسبات تتجلى في أنه الرابط الذي يربط بين الآيات والصور بعضها ببعض حتى يصبح القرآن الكريم كالكلمة الواحدة متناسق المعاني منتظم المباني.

وبعد استعراض أقوال العلماء، تبين أن هناك توافقاً بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للمناسبة، فكلاهما يعني: أنّ الآية وجارتها شقيقتان، ويربط بينهما رباط من نوع واحد، كما يربط النسب بين المتناسبين، وهذا لا يعني أن الآيات المتمثلة، يجب أن تكون متمثلة كل التماثل، بل ربما يكون بينها تقابل، أو تباعد في المعنى، لكن المهم أن هناك صلة، أو رابط ما يربط بين الآيتين، أو يقارب بينهما، سواء توصل إليه العلماء أم لا، فقد يظهر هذا الاتصال ويكون واضحاً في بعض الأحيان، وقد يخفى أحياناً أخرى؛ وذلك لأن كشف المناسبة بين الآيات يعتمد على القدرة العقلية لدى الباحث، فكلما كانت قدراته العقلية كبيرة كلما كانت قدرته في التوصل إلى رابط بين الآيات أكبر².

¹ - البقاعي، نظم الدرر، (5\1).

² - ينظر: حسن، سامي عطا، المناسبات بين الآيات والصور وفوائدها وأنواعها وموقف العلماء منها، الجامعة الأردنية، مجلة دراسات، (عدد 1، مجلد 2003، 30م)، (ص: 12)، تاريخ الزيارة: 7-2-2019م.

المبحث الثاني

مفهوم مقاصد القرآن الكريم

المطلب الأول: معنى المقاصد في اللغة

جمع مقصد ولها ثلاثة أصول، يدل أحدها على إتيان شيء وأمّه، والآخر على اكتناز في الشيء¹.

وقَصَدْتُهُ قَصْدًا وَمَقْصَدًا، من باب: أَقْصَدَهُ السَّهْمُ، إذا أصابه فقتل مكانه، ويقال: أَقْصَدْتُهُ حَيَّةً، إذا لدغته فقتلته، ويقال: قَصَدْتُ الشيء كسرته، وَالْقَصْدَةُ: القطعة من الشيء إذا تكسر، والجمع قِصْدٌ، (ومنه قِصْدُ) الرِّمَاحِ، وَرُمُحٌ قِصِدٌ².

المقاصد في اللغة تشتمل على عدة معاني، منها:

1. استقامة الطريق، قَالَ مَعَالِي: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾³ 9؛ أي على الله بيان الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة، ومنها طريق غير قاصد، وطريق قاصد: سهل مستقيم، وسفر قاصد: سهل قريب⁴، وفي التنزيل العزيز: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾⁵ 24.

2. "الاعتزام، والتوجه، والنهوض نحو الشيء، على اعتدال كان ذلك أو جور، هذا أصله في الحقيقة، وإن كان قد يخص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل، ألا ترى إنك تقصد الجور تارة كما تقصد العدل أخرى، فالاعتزام والتوجه شامل لهما جميعاً"⁶.

3. "القصد، الاعتماد. يقال: قصدتك في هذا الأمر"⁷، بمعنى اعتمدت عليك فيه.

¹ - ينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (95\5).

² - ينظر: المرجع السابق، (95\5).

³ - ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (ط1414هـ)، (353\3).

⁴ - ابن سيده المرسى، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: 458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، ق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1421\1هـ)، (186\6).

⁵ - ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، (175\6).

4. التوسط والاعتدال ما بين الإسراف والتقتير، يقال: فلان مقتصد في المعيشة وفي النفقة، أي لا يسرف ولا يقتّر، وقصد في الأمر: لم يتجاوز فيه الحد، ورضي بالتوسط، واليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾¹ الفرقان:76، ومنه ما هو متردد بين المحمود والمذموم، كالواقع بين العدل والجور¹، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾² فاطر: 23.

5. "القصد: إتيان الشيء"².

وتستنتج الباحثة أن معنى المقاصد في اللغة: يختلف بحسب الأمر الذي يريده الشخص، فقد يطلق أهل اللغة لفظ المقصد ويريدون به بيان الطريق المستقيم، أو النهوض نحو الشيء، أو الاعتماد، أو التوسط والاعتدال، أو إتيان الشيء.

المطلب الثاني: معنى مقاصد الشريعة في الاصطلاح

لم يكن لمقاصد الشريعة مصطلح خاص بها عند قدماء الأصوليين، ولكن عبروا عنها بألفاظ مثل: الأمور بمقاصدها، مراد الشارع، أسرار الشريعة، الاستصلاح، رفع الحرج والضيق، العلل الجزئية للأحكام الفقهية، وغيرها، أما تعريفها عند الفقهاء المعاصرين فجاءت بتعريفات متقاربة، ومن أهم هذه التعريفات:

1- تعريف ابن عاشور: "هو عبارة عن الوقوف على المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها"³.

2- تعريف الريسوني: "هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها، لمصلحة العباد"⁴.

¹ - ينظر: الزبيدي، تاج العروس، (369).

² - الزبيدي، تاج العروس، (369).

³ - ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (1393هـ)، مقاصد الشريعة الإسلامية، ق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، (ط1425هـ)، (21\2).

⁴ - الريسوني، أحمد، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، بيروت، (ط2\1412هـ)، (7).

3- تعريف الخادمي هي: "المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها، سواء كانت المعاني حكماً جزئية أم مصالح كلية أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد هو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين"¹.

وتستنتج الباحثة مما سبق أن معنى المقاصد يتعلق بالأهداف التي تسعى لتحقيق مصالح العباد في الدارين.

المطلب الثالث: معنى مقاصد القرآن في الاصطلاح

مصطلح مقاصد القرآن لم يُعرّفه العلماء القدامى تعريفاً خاصاً، وإنما وردت إشارات متفرقة في ثنايا المباحث المقاصدية بمعناها التشريعي، فيرى أبو حامد الغزالي أن مصطلح المقاصد جاء للدلالة على القضايا الأساسية التي دارت عليها السورة القرآنية وآياتها².

وقال العز بن عبد السلام: "إن معظم مقاصد القرآن الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفساد وأسبابها، فلا نسبة بمصالح الدنيا ومفاسدها إلى مصالح الآخرة ومفاسدها"³.

وذكر السيوطي في حديثه عن سورة الفاتحة: "أنها مشتملة على جميع مقاصد القرآن"⁴.

ويلاحظ بأن هذه الأقوال لم تتعرض للمراد والمقصود بمصطلح مقاصد القرآن بشكل خاص، ولكن بعض الباحثين المعاصرين اهتموا ببيان مفهوم مقاصد القرآن، ووضعوا لذلك تعريفاً محدداً، ومن ذلك:

¹ - الخادمي، نور الدين بن مختار، الإجتهد المقاصدي: حجته، ضوابطه، مجالاته، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الدوحة، (ط1998م)، (52\1).

² - ينظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت:505هـ)، جواهر القرآن، ق: محمد رشيد رضا، دار إحياء العلوم، بيروت، (ط1406)، (23\1).

³ - العز ابن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز (ت:660هـ)، قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (ط1414هـ)، (8\1).

⁴ - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (364\3).

- مقاصد القرآن هي: الموضوعات الأصلية والرئيسية التي يدور حولها القرآن، وما يتفرع عنها من فروع، مع مراعاة النظر في الحكم والغايات والأهداف التي أرادها الشارع من ذكر هذه الأمور¹.

- وعرفت بأنها: "الغايات التي أنزل القرآن لأجلها، تحقيقاً لمصالح العباد"².

- وأنها: "إدراك مراد الله تعالى من إنزال القرآن الكريم"³.

والذي تميل إليه الباحثة أن مقاصد القرآن: هي الغايات والأهداف التي أنزل القرآن لأجلها، وبيان كيفية الاستفادة منها في تحقيق مصلحة العباد، وقد تكون هذه الأهداف مخفية في بعض الأحيان. والذي دفع الباحثة لاختيار هذا التعريف؛ كونه شاملاً لجميع التعريفات.

ويظهر مما سبق أن هناك فرق بين مقاصد القرآن ومقاصد الشريعة فإن مقاصد القرآن "تشمل العقيدة والأخلاق والترغيب والترهيب"⁴، ومقاصد القرآن تستنبط من القرآن فقط وهي الأصل، أما مقاصد الشريعة فتستنبط من مقاصد القرآن والسنة، وتشمل شرح مقاصد القرآن وتفصيلها⁵.

وبناء على ما تقدم يمكن القول بأن مقاصد القرآن أعم وأشمل من مقاصد الشريعة.

¹- ينظر: الخضير، محمد عبد السلام، من مقاصد القرآن الكريم وأهميتها في اختيار الموضوع القرآني، (6)، <http://www.sebhau.edu.ly/suj/paper/b41.pdf>، تاريخ الزيارة: 2019-2-7م.

²- حامدي، عبد الكريم، مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، دار ابن حزم، الجزائر، (ط1429هـ)، (29).

³- التجاني علي البشر، مقاصد القرآن الكريم وصلتها بالتدبر، (5)،

<http://b7oth.com/wp-content/uploads/2015/03/09>، تاريخ الزيارة: 2019-2-7م.

⁴- علي أسعد، مقاصد قرآنية يناط بها التمكين الأسري، (481)،

<http://www.damascusuniversity.edu.sy/mag/law/images/stories/459-502.pdf>، تاريخ الزيارة: 2019-2-7م.

⁵- ينظر: المخلافي، رضوان جمال الأطرش ونشوان عبده خالد، التفسير المقاصدي اشكالية التعريف والخصائص، مركز

بحوث القرآن، ماليزيا، 2013م، (129-144).

المبحث الثالث

ترتيب الآيات والسور في القرآن الكريم

قبل أن أتحدث عن أنواع المناسبات ومقاصد القرآن لأبدي من الحديث عن ترتيب الآيات والسور في القرآن الكريم أهو توقيفي أم اجتهادي؟

المطلب الأول: ترتيب الآيات في القرآن الكريم

يتفق العلماء¹ على أن ترتيب الآيات في سورها توقيفي ثابت بالوحي، وبأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وكانت الآيات تنزل عليه، ويأمر كُتَّاب الوحي بوضعها في مكانها من السور بتبليغ من جبريل-عليه السلام- وهناك الكثير من الأدلة التي تدل على أن ترتيب الآيات في السور توقيفي، من ذلك:

1. ما رواه عُثْمَانُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ حيث قال: "كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا إِذْ شَخَصَ بَبَصَرِهِ ثُمَّ صَوَّبَهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يُلْزِقَهُ بِالْأَرْضِ، قَالَ: ثُمَّ شَخَصَ بَبَصَرِهِ فَقَالَ: أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَمَرَنِي أَنْ أَضَعَ هَذِهِ الْآيَةَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ"²، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾³ النحل: 09.

2. وعن ابْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: "قُلْتُ: لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾⁴ بقره: 042، قَالَ: قَدْ نَسَخْنَاهَا الْآيَةُ الْآخَرَى، فَلَمْ تَكُنْ بِهَا؟ أَوْ تَدْعُهَا؟ قَالَ: "يَا ابْنَ أَخِي لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ"⁵، ووجه الاستدلال أن رفض عثمان بن عفان لحذف هذه الآية دليل على أن ترتيب الآيات في السور توقيفي.

¹ ينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (1/237).

² ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت: 241هـ)، مسند أحمد بن حنبل، ق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1/1412هـ)، (29/441)، (17918). اسناده حسن، الهيثمي، على بن أبي بكر (ت: 807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، (ط1/1414هـ)، كتاب التفسير، باب سورة النحل، (11120).

³ البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (ت: 256هـ)، صحيح البخاري، ق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، بيروت، (ط1/1422هـ)، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: أَلَمْ لِي مَجْ مَخ مِم مَي مَي البقرة: 234، (ح: 4530)، (6/29).

3. وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قال: "ما سألت النبي (صلى الله عليه وسلم) عن شيء أكثر ما سألته عن الكلاله، حَتَّى طَعَنَ بِإِصْبَعِهِ فِي صَدْرِي، فَقَالَ: «يَا عُمَرُ أَلَا تَكْفِيكَ آيَةُ الصَّيْفِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ النَّسَاءِ؟»¹.

فتسمية الآية بآية الصَّيْف يدل على توثيق زمان نزولها، وقوله: (في آخر سورة النساء) يدل على ترتيبها.

4. عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَالِ"².

كل هذه الأدلة تدل على أَنَّ ترتيب الآيات في سورها توقيفي ثابت بالوحي وبأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

المطلب الثاني: ترتيب السور في القرآن الكريم

اختلفت أقوال العلماء في ترتيب سور القرآن الكريم على ما هو عليه اليوم في المصاحف، هل هو توقيفي أم توقيفي (اجتهادي)؟ إلى ثلاثة أقوال³:

القول الأول: أنَّها توقيفية من عند الله تعالى.

القول الثاني: أنَّها اجتهادية من الصحابة في عهد عثمان رضي الله عنه.

القول الثالث: أنَّ بعضها توقيفي وبعضها اجتهادي.

¹- مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: 261هـ)، صحيح مسلم، ق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1/1412هـ)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي من أكل ثوماً أو بصلاً أو كراثاً أو نحوه، (ح: 567)، (396/1).

²- مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، (ح: 809)، (555/1).

³- ينظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت: 1367هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى الحلبي، دمشق، (ط3/1428هـ)، (353/1).

وفيما يأتي بيان هذه الأقوال ومناقشتها:

القول الأول: ترتيب السور توقيفي

ذهب عدد من العلماء¹ إلى أنَّ ترتيب السور في القرآن الكريم توقيفي من النبي (صلى الله عليه وسلم) أخذ عن جبريل عليه السلام عن رب العالمين، ولا يوجد فيه أي اجتهاد من الرسول (صلى الله عليه وسلم) أو من الصحابة رضوان الله عليهم، ولم توضع السورة إلا في الموضع الذي أمر به جبريل نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يضعها فيه، وإنَّ ترتيب السور كترتيب الآيات سواء بسواء، ونسب الألوسي² هذا القول للجمهور.

وقال الزركشي: "إنَّ كل سور القرآن الكريم وآياته مرتبة بالتوقيف"³.

واستند أصحاب هذا الفريق في قولهم إنَّ ترتيب السور في القرآن الكريم توقيفي إلى عدد من الأدلة، أهمُّها:

1. حديث واثلة بن الأسقع، أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِائِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمِائِينَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ"⁴.

فهذا الحديث يدل على أنَّ ترتيب السور في القرآن الكريم توقيفي من عند الله تعالى أنزله على محمد (صلى الله عليه وسلم) بواسطة جبريل عليه السلام.

¹ - بعض العلماء قالوا إنَّ ترتيب السور في القرآن توقيفي ومنهم: أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد (ت: 444هـ)، البيان في عد آي القرآن، ق: فرغلي عرياي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1 2011)، (81)، الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (371)، الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (355).

² - الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ق: علي عبد الباري، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1 1415هـ)، (271).

³ - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (371).

⁴ - ابن حنبل، المسند، (ح: 16982)، (18828). صححه الألباني، الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين (ت: 1420هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض، (ط1 1415هـ)، (4693)، (رقم: 1480).

2. "استدلوا باختلاف ترتيب بعض السور المتجانسة¹ في القرآن الكريم بأنها لم ترتب متواليّة، فلو كان الأمر اجتهادياً لروعي فيه هذا الجانب، إذ إنّ الاجتهاد يقوم على جمع المتجانسات والمتماثلات² بعضها إلى بعض، فسور المسبحات فصل بينها بالمجادلة، والممتحنة، والمنافقون، وسورة (طسم) الشعراء، و(طسم) القصص لم يتتابعاً مع تماثلهما، بل فصل بينهما بسورة أقصر منهما وهي (طس) النمل، ومما يدل على أن ترتيب السور في القرآن توقيفي أيضاً كون (الحواميم)³ رتبت متتابعة، وكذلك (الطواسين)⁴ ولكن لم ترتب (المسبحات)⁵ متتابعة، وفصل بين الانفطار والانشقاق بالمطففين، وهما نظيرتان في المطلع والمقصد، ولو كان الترتيب اجتهادياً لذكرت (المسبحات) متتابعة، وأُخِّرت (سورة النمل) عن القصص"⁶.

3. استدّلوا بما ثبت أنّ جبريل عليه السلام كان يعرض على النبي (صلى الله عليه وسلم) القرآن كلّ سنة مرة، وعرض عليه القرآن مرتين في السنة التي قبضت فيها روحه الطاهرة، ولا ريب أنّ القرآن حينئذ كان قد أنزل كله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرضه على جبريل عليه السلام هذه المرة كان من أوله إلى آخره، وأنّ تلك العرصة لا بد أن تكون قد تمتّ على ترتيب معيّن؛ هو الذي نُقِلَ إلينا، وبالضرورة أن يكون موافقاً لما هو في اللوح المحفوظ؛ إذ لا يعرضه صلى الله عليه وسلم العرض الأخير على جبريل إلا مرتب الآيات والسور كما سمعه منه؛ لأنه لا يمكن للنبي (صلى الله عليه وسلم) أن يخالفه، وما كان للصحابّة أن ينقلوا لنا خلافها؛ لأنهم كانوا أشد الناس اقتداء برسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأبعدهم عن الابتداع

¹ - السور المتجانسة: هي السور التي يكون ترتيبها في المصحف موافقاً لعدد آياتها، من حيث الفردي والزوجي، ومثال على السور المتجانسة: سورة البقرة زوجية الآيات وزوجية الترتيب، سورة التوبة فردية الآيات وفردية الترتيب.

² - السور المتماثلة: هي السورة التي تكون متشابهة في المطلع أو المقصد، مثل: سورة الانفطار، وسورة الانشقاق.

³ - الحواميم: هي السور التي تفتتح بحرفين مقطعين (حم) متتالية بحسب ترتيب المصحف، وهي غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف.

⁴ - الطواسين: هي السور التي تفتتح بثلاثة حروف مقطعة (طسم) وهي متتالية بحسب ترتيب المصحف، وهي الشعراء والنمل والقصص.

⁵ - المسبحات: هي السور التي تفتتح بتسبيح الله عز وجل وعلى الرغم من أنها متماثلة إلا أنها لم ترتب على التوالي، وهي سورة الإسراء والحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى. الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (355/1).

⁶ - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (219/1).

والعمل بالظن والهوى، ومما لا شك فيه أنهم حين جمعهم للقرآن الكريم تحرّوا في كل شيء ما كان عليه النبي (صلى الله عليه وسلم)، فما قدّموا سورة على أخرى إلا باستناد إلى أمره (صلى الله عليه وسلم) أو فعله أو تقريره، وكان زيد بن ثابت من الصحابة الذين حضروا العرضة الأخيرة للقرآن الكريم التي عرضها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على جبريل، وهو من كتاب الوحي، فعلى هذه العرضة كُتب مصحف أبي بكر ومصحف عثمان رضي الله عنهما¹.

4. إنّ الذي يتدبر موضع السور في المصحف يجدها في غاية الإحكام والاتساق والتناسب، فإنّ بعضها آخذٌ برقاب بعض، فكل سورة تجمعها وجه مناسبة لما ختمت به السورة التي قبلها ومكملة لمقاصدها وموضوعاتها، وفي هذا دليل على أنّ ترتيب السور في القرآن الكريم توقيفي صادر عن حكيم عليم.

يقول الزركشي: "وإذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته في غاية المناسبة لما ختم به السورة التي قبلها، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى كافتتاح سورة الأنعام بالحمد فإنه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء، أيضاً افتتاح سورة فاطر ب (الحمد) فإنه مناسب لختام ما قبلها من قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾^{سبأ: 45}، وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح فإنه مناسب لختام سورة الواقعة من الأمر به وكافتتاح البقرة بقوله: ﴿الْم ۝ ذَٰلِكَ أَلَكْتُبُ لَا رَبَّ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^{البقرة: 1-2}، إشارة إلى {الصرط} في قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^{الفلقحة: 6}، كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم ذلك الصراط الذي سألتهم الهداية إليه هو الكتاب... وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السور فما ظنك بالآيات وتعلق بعضها ببعض بل عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالكلمة الواحدة"².

5. كما استدل أصحاب هذا الرأي بأنّ الصحابة أجمعوا على أنّ المصاحف التي كُتبت في عهد عثمان رضي الله عنه، وحرّقوا ما سواها، ولم يخالف منهم أحد لا في كلماته وآياته

¹ - ينظر: الكردي، محمد طاهر بن عبد القادر (ت: 1400هـ)، تاريخ القرآن الكريم، ق: مصطفى محمد، مطبعة الفتح، جدة، (ط 1365هـ)، (ص 70).

² - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (1/38-39).

ولا في ترتيبه، وإجماعهم لا يتم إلا إذا كان الترتيب الذي أجمعوا عليه عن توقيف؛ لأنه لو كان عن اجتهاد لتمسك أصحاب المصاحف المخالفة بمخالفتهم، لكنهم لم يتمسكوا بها بل عدلوا عنها وعن ترتيبهم، وعدلوا عن مصاحفهم وأحرقوها ورجعوا جميعاً إلى مصحف عثمان رضي الله عنه".

القول الثاني: ترتيب السور اجتهادي

ذهب فريق ثانٍ من العلماء¹ إلى أن ترتيب السور اجتهادي، اجتهد فيه الصحابة رضي الله عنهم، ولم يكن بتوقيف من النبي (صلى الله عليه وسلم)²، واستدلوا على ذلك بمجموعة من الأدلة، أهمها:

1. ما رواه مسلم في صحيحه عن حذيفة، قال: "صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَأَفْتَتَحَ الْبَقْرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ. قَالَ: وَفِي حَدِيثٍ جَرِيرٍ مِنَ الزِّيَادَةِ، فَقَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ»³.

فالنَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) قرأ في صلاته البقرة ثم النساء ثم آل عمران بدون الترتيب الذي في المصاحف.

2. وعن ابن عباس قال: "قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: مَا حَمَلَكُمْ عَلَى أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى الْأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ الْمَثَانِي، وَالْيَ بَرَاءَةٍ، وَهِيَ مِنَ الْمِثْنِ، فَقَرَأْتُمْ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ تَكْتُبُوا، قَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ: بَيْنَهُمَا

¹ - العلماء الذين قالوا إن ترتيب السور في القرآن الكريم اجتهادي منهم: الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر (ت: 403هـ)، في كتابه الانتصار للقرآن، ق: محمد عصام القضاة، دار الفتحة، عمان، (ط1\1422هـ)، كما نسب ابن الزبير هذا القول لجمهور العلماء، أبو جعفر ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم (ت: 708هـ)، في كتابه البرهان في تناسب سور القرآن، ق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، (ط1\1410هـ)، (1821).

² - ينظر: السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، (2161).

³ - مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، (772)، (536\1).

سَطْرًا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَوَضَعْتُهَا فِي السَّبْعِ الطُّوَالِ، مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ عُثْمَانُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ مِنَ السُّورِ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، وَكَانَ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ يَدْعُو بَعْضَ مَنْ يَكْتُبُ عِنْدَهُ يَقُولُ: "ضَعُوا هَذَا فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا" وَيُنْزَلُ عَلَيْهِ الْآيَاتُ، فَيَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَيُنْزَلُ عَلَيْهِ الْآيَةُ، فَيَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ الْآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَكَانَتْ الْأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا أُنْزِلَ بِالْمَدِينَةِ، وَبِرَاءَةٌ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ، فَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا، فَقَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا، وَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا، فَمِنْ ثَمَّ قَرَنْتُ بَيْنَهُمَا، وَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرًا: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ: وَوَضَعْتُهَا فِي السَّبْعِ الطُّوَالِ¹.

3. "واستدلوا باختلاف مصاحف الصحابة في ترتيب السور قبل جمع المصاحف العثمانية، فمنهم من رتبها على النزول وهو مصحف علي بن أبي طالب كان أوله اقرأ ثم المدهثر ثم نون ثم المزمّل ثم تبت ثم التكوير وهكذا إلى آخر المكي والمدني، وكان أول مصحف ابن مسعود البقرة ثم النساء ثم آل عمران على اختلاف شديد وكذا مصحف أبي وغيره، ولو كان هناك ترتيب من النبي (صلى الله عليه وسلم) لما اختلفت مصاحف الصحابة في الترتيب"².

الفريق الثالث: ترتيب سور القرآن الكريم منها ما هو توقيفي ومنها ما هو اجتهادي

ذهب فريق آخر من العلماء³ للقول بأن ترتيب السور منه ما هو توقيفي، ومنه ما هو اجتهادي، فكثير من السور قد علم ترتيبها في حياة النبي (صلى الله عليه وسلم) كالسبع الطوال والحواميم

¹ - ابن حنبل، مسند احمد بن حنبل، (459\1)، (رقم: 399). ضعفه الألباني، الألباني، محمد ناصر الدين (ت: 1420هـ)، ضعيف سنن الترمذي، ق: زهير الشاويش، مكتبة التربية العربية، الرياض، (ط1411هـ)، (381)، (رقم: 599).

² - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، (216\1).

³ - من العلماء الذين قالوا أن ترتيب السور منه ما هو توقيفي ومنه ما هو اجتهادي: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب (ت: 542هـ)، في كتابه المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1422\1هـ)، (50\1)، وابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل (ت: 852هـ)، في كتابه فتح الباري شرح صحيح البخاري، ق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، (ط1379\1)، (42\9)، والسيوطي، في كتابه الإتيان في علوم القرآن، (219\1).

والمُفَصَّل، وأمّا ما سوى ذلك فيمكن أن يكون فَوْض الأمر فيه إلى الصحابة من بعده، فما ورد فيه دليل على أن ترتيبه توقيفي فإنه توقيفي، وما لم يرد فيه دليل فهو اجتهادي¹.

قال السيوطي: "جميع سور القرآن ترتيبها توقيفي إلا براءة والأنفال"².

واستدل أصحاب هذا الرأي على قولهم بأن ترتيب السور في القرآن الكريم منها ما هو توقيفي، ومنها ما هو اجتهادي بحديث ابن عباس رضي الله عنهما السابق.

وجه الاستدلال من هذا الحديث أن جميع سور القرآن رتبها نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) في مواضعها إلا هذه السورة فلم يربتها ولم يذكر لهم فيها شيئاً، فرتبها الصحابة كما أرادوا.

الرأي الرابع:

يرى الزركشي أن الخلاف في المسألة لفظي؛ لأنَّ القائل بأنَّ ترتيب السور في القرآن كان باجتهاد من الصحابة الكرام، يرى بأن الصحابة فعلوا ذلك بناءً على ما كانوا يسمعون من النبي (صلى الله عليه وسلم)³.

وهذه محاولة من الزركشي للتوفيق بين الآراء المختلفة، لكن ذلك لا ينفي حقيقة الخلاف في المسألة، فهو خلاف حقيقي وليس مجرد خلاف لفظي.

فالملاحظ أن الفريقين الثاني والثالث اعتمدا على أدلة لا يصح الاحتجاج بها، فكلاهما استدل بحديث ابن عباس في قوله لعثمان بن عفان: "ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المتاني..."، وهذا الحديث ضعّفه أهل العلم؛ لأن في إسناده راوٍ ضعيف⁴.

واستدل الفريق الثاني بقولهم: أن مصاحف بعض الصحابة لم تكن مرتبة ترتيب مصحف عثمان بن عفان، وبعضها كان مرتباً حسب زمن النزول مثل مصحف علي بن أبي طالب حيث

¹ - ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (356/1).

² - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (219/1).

³ - ينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (257/1).

⁴ - الألباني، ضعيف سنن الترمذي، (381)، (رقم: 599).

كان أوله اقرأ، ثم المدثر، ثم نون، ثم المزمل، ثم تبت، ثم التكوير، وهكذا إلى آخر المكي والمدني¹، ويُردُّ على ذلك بأمر ثلاثة²:

الأول: أنَّ هذا الدليل لا حجة لهم فيه؛ لأن مصاحف الصحابة كانت مصاحف شخصية لم يُلزموا بها أحدًا، ولم يدعوا أنَّ مخالفتها محرمة، فقد يكتب الشخص لنفسه سورة معينة يخشى من التباس الأمر فيها نسيانًا، أو غير ذلك، فيكتبها بالطريقة التي يريد.

الثاني: عندما اجتمعت الأمة على ترتيب عثمان (رضي الله عنه) أخذوا به وتركوا مصاحفهم الشخصية، ولو كانوا يرون أنَّ ترتيب المصحف اجتهادي لدعوا إلى التمسك بترتيبهم الخاص، ولم يتنازلوا عنه.

الثالث: هل يُعقل بأنَّ يتم ترتيب المصحف باجتهاد عثمان بن عفان ومن معه، ولا يسمع صوت واحد يعترض عليهم في ذلك؟ إلا أنَّ يكون عن علم منهم جميعاً أنَّ ترتيب السور في المصحف بهذا الشكل كان معلوماً للجميع أنه بتوقيف من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

والراجح من هذه الأقوال الثلاثة القول الأول وهو: أنَّ ترتيب السور في القرآن الكريم توقيفي ولم يكن اجتهادياً من الصحابة الكرام؛ وذلك لقوة الأدلة التي اعتمد عليها أصحاب هذا الرأي، ثم لدلالة علم المناسبات دور كبير في بيان أنَّ ترتيب القرآن الكريم توقيفي، لأنَّ الذي يتدبر موضع السور في المصحف يجدها في غاية الإحكام والاتساق والتناسب، فإنَّ بعضها آخذٌ برقاب بعض، فكل سورة تجمعها وجه مناسبة لما ختمت به السورة التي قبلها ومكملة لمقاصدها وموضوعاتها.

¹ - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (216\1).

² - مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، (82-78\1).

الفصل الثاني

أهمية علم المناسبات ومقاصد القرآن والعلاقة بينهما وطرق الكشف عنهما

المبحث الأول: أهمية علم المناسبات وعلم مقاصد القرآن في فهم القرآن الكريم

المبحث الثاني: طرق الكشف عن المناسبات ومقاصد قرآن

المبحث الأول

أهمية علم المناسبات وعلم مقاصد القرآن في فهم القرآن الكريم

المطلب الأول: أهمية علم المناسبات في فهم القرآن الكريم

علم المناسبات علم عظيم، فهو يُعين على فهم مراد الله تعالى في كتابه العزيز، ففي كثير من الأحيان تكون المناسبات مفتاحاً لمعرفة حُكْم، أو لمعرفة مراد الله تعالى من هذه الآيات؛ لأن بعض الأحكام والمعاني لا تظهر إلا بربط الآيات بعضها ببعض والكشف عن المناسبة بينها، كما أن المناسبات تُعين على عدم الوقوع في الخطأ واللُّبس في فهم مراد الله تعالى من الآيات القرآنية، ويمكن بيان أهمية هذا العلم من خلال الأمور الآتية:

أولاً: المناسبات جزء من التفسير

المناسبات جزء لا يتجزأ من التفسير؛ وذلك لأنَّ المناسبة بين الآيات تكشف عن معاني جديدة للآيات أو ترجِّح معنى على معنى آخر¹، كما يشترط في الباحث عن المناسبات ما يشترط في المفسر، وأهم هذه الشروط التي يجب على الباحث عن المناسبات أن يتحلَّى بها، الإلمام بعلوم اللغة ومنها علم البلاغة التي هي من أعظم أركان المفسر؛ لأنه من خلالها يمكن إدراك إعجاز القرآن²، فتفسير الآيات من خلال الربط بين الآيات وكشف المناسبة بينهما يكشف عن معنى جديد للآية.

ونذكر مثلاً توضيحاً لذلك: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ سورة الإسراء: 23، ما سبب اقتران الإحسان إلى الوالدين بطاعة الله تعالى؟ لأنهما بعد

¹ - ينظر: القرني، عبد الله بن مقبل بن ظافر، المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (1413هـ)، (91).

² - ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (2134-214).

الله الذي هو السبب الحقيقي لوجود الإنسان¹، كما أن الله سبحانه وتعالى أمر العباد بمراعاة حقّ الوالدين وهما من جنس العبد، فمن عجز عن القيام بحقّ جنسه، عجز عن القيام بحقّ ربه².

ثانياً: دور المناسبة في الترجيح بين أقوال المفسرين

قد يقرأ أحدنا سورة من كتاب الله، يعتقد الجاهل بأنها حشو من الجمل والكلمات، لكن لو تلا هذه السورة بتدبر وتمعن لوجد أنها مترابطة ومتناسقة ولا يوجد فيها حرف إلا وله مغزى، فإنك لا تحس بشيء من عدم الترابط والانفصال عند انتقال السورة من موضوع إلى موضوع آخر، وإنما كلها مترابطة ومتناسقة مع بعضها بعضاً من غير تكلف³.

ومن الأمثلة على الترجيح بين أقوال المفسرين من خلال فهم المناسبة بين الآيات: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ وَطُورِ سَيْنِينَ ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾⁴ ١١٣: ١-3، قيل بأنّ التين والزيتون من المأكولات، لكنّ الرّاجح أنّهما من المواضع؛ وذلك لأنّ "هذه محال ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبياً مُرسلاً، (فالأول) محله التين والزيتون: وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى بن مريم عليه السلام، (والثاني) طور سينين: وهو طور سيناء الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران، (والثالث) مكة: وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمناً، وهو الذي أرسل فيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم"⁴، وذلك لأن السياق دل عليه، فقد اقترن التين والزيتون بطور سينين والبلد الأمين، فدل النظم على كونهما اسم لمكان وليس للمأكولات⁵.

¹ - ينظر: الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، (ط2\1418هـ)، (54\15).

² - ينظر: القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: 45هـ)، لطائف الإشارات، ق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية، مصر، (ط3\2000م)، (343\2).

³ - ينظر: دراز، محمد بن عبد الله (ت: 1377هـ)، النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن الكريم)، ق: عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم، دمشق، (ط2\1426هـ)، (188\1).

⁴ - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، ق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، (ط2\1420هـ)، (434\8).

⁵ - ينظر: الندوي، أبو الحسن علي الحسني، تأملات في القرآن الكريم، دار القلم، دمشق، (ط1\1411هـ)، (104).

ثالثاً: إظهار الإعجاز القرآني

التناسب وجه من وجوه الإعجاز القرآني، ووسيلة لإظهار أن القرآن الكريم معجز في المعنى والمبنى، فكما أن القرآن الكريم مُعْجَز من حيث فصاحة ألفاظه وبلاغة معانيه، فهو معجز في ترابط وتناسق آياته بعضها مع بعض، وهذا دليل على أن القرآن الكريم من عند الله تعالى¹، كما أن علم المناسبات يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما تناسب الكلمات بعضها مع بعض في الجملة بحسب التركيب، والثاني: تناسب كل جملة مع الجملة التي قبلها أو التي بعدها والبراعة في ذلك الترتيب، والأول يمكن كشفه بسهولة أكثر، فإن كل من سمع القرآن الكريم من ذكي أو غبي يهتز لمعانيه ويحصل له عند سماعه نشاط ورغبة باستتباط ما فيه من المعاني لا تحصل عند سماع غيره²، فالقرآن الكريم من أوله إلى آخره متين الأسلوب، فأياته وسوره متصل بعضها ببعض وكأنها وحدة واحدة، ولا يوجد بين أجزائه تفكك، فأوله يتناسب مع آخره، وهذا يدل على أن الإعجاز يجري في القرآن الكريم كله من أوله إلى يائه³.

إن وجود التناسب بين الآيات والصور دليل على أن القرآن الكريم مُعْجَز، وأنه حُجَّة على من قال إن القرآن من صنع البشر، فإن ما في القرآن الكريم من فصاحة ألفاظه، وقوة معانيه وتناسب آياته وسوره، وترابطها مع بعضها البعض كالبناء المُحْكَم دليل على أن القرآن الكريم مُعْجَز.

رابعاً: دفع توهم التكرار في القرآن الكريم

من يقرأ القرآن للوهلة الأولى يتوهم له أن القرآن فيه تكرار، وهذا الكلام غير صحيح؛ لأن القرآن خال من التكرار وإنما هو تشابه.

¹ - ينظر: الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن (ت: 606هـ)، مفاتيح الغيب، إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1420هـ)، (1067).

² - ينظر: البقاعي، نظم الدرر، (71).

³ - ينظر: الزرقاني، مناهل العرفان، (601).

كما قيل إنَّ التكرار واقع في القصص القرآني؛ لأنَّ القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في أكثر من سورة، ولكن النظرة الفاحصة الدقيقة تؤكد أنه ما من قصة، أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة، من ناحية طريقة الأداء في السياق، والقدر الذي يساق، وإنه كلما تكررت حلقة كان هناك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار¹.

ويقول الدكتور فضل عباس: "إنَّ المتدبر لآيات العقيدة يجد أنها خالية من التكرار؛ لأنَّ كل موضع قُرت فيه العقيدة، نجد فيه معنى وفائدة، لا نجدها في الموضع الآخر"².

التناسب بين الآيات والصور يكشف لنا أنَّ القرآن الكريم لا يوجد فيه تكرار؛ لأن كل سورة تتكرر فيها القصة، تتعدد أغراضها ومقاصدها، ولأن التكرار يعني تكرار القصة نفسها وتكرار الغرض منها، لكن هذا غير موجود في القصة القرآنية، فإنَّ كل سورة تكررت فيها قصة فلها معنى مختلف عن معنى الذي ذكرته في غيرها من السورة³.

اقتصرت الباحثة على ذكر هذه النقاط في بيان أهمية علم المناسبات في القرآن على الرغم من أنَّ له أهمية كبيرة، فإنه يكشف عن ترابط الآيات والصور، فبعضها مرتبط ببعض وكأنها كلمة واحدة متسعة المعاني منتظمة المباني، وكما أنه يُعين على تدبر كتاب الله تعالى بشكل صحيح، وهذا يزيد الإيمان وبرسِّه في القلب.

المطلب الثاني: أهمية علم المقاصد في فهم القرآن الكريم

لمقاصد القرآن وحسن الاستفادة منها في فهم القرآن وإدراك أحكامه وجِكمه، أهمية قصوى تتلخص في نقاط عدَّة منها:

1- مقاصد القرآن الكريم هي المدخل السليم لفهم الرسالة القرآنية الإسلامية على وجهها

¹ - ينظر: قطب، سيد إبراهيم حسين الشاذلي (ت: 1966م)، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، (ط1 1972م)، (53-52).

² - عباس، فضل، إعجاز القرآن الكريم، دار الفرقان، عمان، (ط1 1991م)، (ص 229).

³ - ينظر: عباس، إعجاز القرآن الكريم، (ص: 230)

الصحيح، بلا زيادة ولا نقصان، فمقاصد القرآن الكريم هي الأهداف والغايات التي نزل لأجلها القرآن¹.

2- إنَّ تفسير القرآن الكريم باعتبار مقاصد السور هو المنهج الأسلم الذي يجعل كلام الله تعالى مؤتلفاً منتظماً على نحو يبيِّن كمال نظمهِ ومعناه، وتكون السورة معه كالبناء المرصوص، ومن خلاله يمكن الكشف عن الترابط والتناسب بين الآيات والسور².

3- استحضار مقاصد القرآن عند قراءة القرآن وتدبره، تمكن قارئه من الفهم السليم للمعاني التفصيلية والمقاصد الخاصة لأمثاله وقصصه ووعدته ووعدته، ولكل آية وكل لفظ وكل حكم ورد فيه³.

4- إنَّ هذا العلم يبعث على رسوخ الإيمان ويزيد اليقين بأنَّ هذا القرآن كلام الله تعالى⁴.

5- مقاصد القرآن هي الميزان والمعيار الذي لا بد لكل المفسرين مراعاتها في مناهجهم وتفسيراتهم، فبمعرفة المقاصد يمكن المفسر لنفسه أن تكون اهتماماته واستنباطاته في نطاق مقاصد القرآن، ويتمكن بمعرفة مقاصد السور عدم الوقوع في الخطأ، أو الزيغ في التفسير، وتأويل الآيات على نحو غير الذي أراده الله تعالى⁵.

6- التَّرجيح بين السور المكيَّة والمدنيَّة عند التَّعارض وذلك من خلال معرفة مقصدها، فبعض السور لم يُضبط مكان نزولها؛ بسبب تعارض الآثار الواردة فيها، فجاء هذا العلم للفصل في خصائص ومقاصد كل فترة تنزيلية: مكية أو مدنية، فمثلاً سورة الرعد ورد أنها نزلت بمكة وورد أنها نزلت بالمدينة، ولكن ابن عاشور استخدم علم مقاصد القرآن ليقرر هذا

¹ - ينظر: الريسوني، أحمد، مقاصد المقاصد: الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة، الشركة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، (ط1\2013م)، (27).

² - الخضير، محمد بن عبد العزيز، محاضرة بعنوان مقاصد السور القرآنية، <http://islamiyyat.com/1-82>، تاريخ الزيارة: 8-2-2019م.

³ - ينظر: الريسوني، مقاصد المقاصد: الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة، (27).

⁴ - الخضير، محاضرة بعنوان مقاصد السور القرآنية،

<http://islamiyyat.com/1-82>، تاريخ الزيارة: 8-2-2019م.

⁵ - ينظر: الريسوني، مقاصد المقاصد: الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة، (28).

الامر¹، فقال: "معاني سورة الرعد جارية على أسلوب معاني القرآن المكي من الاستدلال على الوحدانية وتقريع المشركين وتهديدهم"².

7- إنَّ علم مقاصد القرآن يُبرز إعجاز القرآن وبلاغته وكماله ودقة نظامه³.

¹ - ينظر: الريسوني، مقاصد المقاصد: الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة، (28).

² - ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (ت: 1393هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (ط1 1984هـ)، (76\13).

³ - الخضير، محاضرة بعنوان مقاصد السور القرآنية،
<http://islamiyyat.com/1-82>، تاريخ الزيارة: 8-2-2019م.

المبحث الثاني

طُرق الكشف عن المناسبات ومقاصد القرآن الكريم

ذكر العلماء كثيراً من الطرق والوسائل للكشف عن المناسبات ومقاصد القرآن، لكي يستطيع من يسلك هذه الطرق والوسائل أن يصل إلى معرفة المناسبات ومقاصد القرآن بسهولة وبصورة صحيحة، وهو ما سأبينه من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: طُرق الكشف عن المناسبات

إنَّ معرفة تناسب آيات السورة الواحدة يقتضي أن تُعرض السورة عرضاً واحداً، وتبين الغاية منها، ومعرفة مقصدها العام، فهذا يعين على معرفة تناسب كل آية مع الآية التي قبلها والتي بعدها¹.

وعلى الرغم من أنَّ السورة الواحدة تتناول قضايا متعددة إلا أن آخرها يتعلق بأولها، وأولها يتعلق بآخرها، فهي تتحدث عن موضوع شامل لجميع هذه الموضوعات الفرعية التي تناولتها السورة، ومعرفة تناسب الآيات والصور بعضها مع بعض يمكنك من فهم القرآن بصورة صحيحة²، وذكر العلماء كثيراً من القواعد لمعرفة وجه اتصال الآية والسورة بما قبلها وما بعدها، منها:

أولاً: بعض الآيات القرآنية يظهر الارتباط بينها مباشرة؛ لتعلق الكلام بعضها ببعض، فقد تكون الآية الثانية تأكيداً وتفسيراً للآية الأولى³، ومثال ذلك: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ ﴿١٦﴾ لَوَارِدَنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمَا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿٨١-٦١﴾، جاءت هذه الآيات تأكيداً وتفسيراً للآيات التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قُرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسْنَاءِ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا

¹ ينظر: دراز، النبأ العظيم، (192).

² ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (371).

³ ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (401).

إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَتَوَلَّنَا إِنَّنا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣٢﴾ فَمَا زَالَتْ
تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴿٣٣﴾ الان: بيا: 11-51.

فبعد أن بين الله تعالى أن هلاك أهل القرية كان لأجل تكذيبهم، أتبعه بما يدل على أنه
فعل ذلك عدلاً منه ومجازاة على ما فعلوا¹.

كما خلق الله تعالى السماوات والأرض لحِكْمٍ عظيمة وليس لهواً وعبثاً، فحاشاه أن يكون
لاعياً في عقابه لأهل القرى، وأن ما حلَّ بهم من العذاب كان بسبب كفرهم وعصيانهم لأمر الله
تعالى.

ثانياً: البعض الآخر من الآيات القرآنية لا يظهر الارتباط بينها بشكل مباشر، وإنما تكون معطوفة
على ما قبلها بحرف من حروف العطف².

ومثال ذلك: قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ سبأ: 2، عطفت الكلمات في هذه الآية بعضها على
بعض؛ للتضاد بين الولوج، والخروج، والنزول، والعروج.

وكذلك فإن من عادة القرآن العظيم إذا ذكر العذاب والرهبة يذكر بعده الرحمة والرهبة، وإذا
ذكر أحكاماً ذكر بعدها وعداً ووعداً؛ ليكون ذلك باعثاً على العمل بما سبق، ثم يذكر آيات
التوحيد والتنزيه؛ ليُعْلَمَ عظيم الأمر والناهي³.

ثالثاً: يتم كشف المناسبات من خلال وجود قرائن معنوية تربط الآيات الكريمة بعضها مع بعض،
ومن هذه القرائن:

1. التنظير: وهو قياس شيء على شيء، مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ
بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ 5، عَقِبَ الآيات التي تحدثت عن سؤال المؤمنين عن الأنفال،

¹ - الرازي، مفاتيح الغيب، (124/22).

² - ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (40\1).

³ - ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (40\1).

فإنه تعالى أمر رسوله أن يُطيع أمره في الغنائم على الرغم من أن أصحابه كانوا كارهين لذلك، كما أمره أن يطيع أمره في خروجه من بيته لطلب العير أو للقتال وهم له كارهون، والقصد أن كراحتهم لما فعله من قسمة الغنائم ككراحتهم للخروج إلى القتال، لقد كان في خروجهم للقتال الخير الكثير من النصر والغنيمة وعز الإسلام، فهذا يكون فيما فعله في القسمة، فليطيعوا ما أمروا به ويتركوا هوى أنفسهم¹.

2. المضادة: وهو التركيب الذي يجمع بين أكثر من لفظ ويقابله أكثر من لفظ مضاد له، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ البقرة: 6، تتحدث هذه الآية عن الكافرين، وسبق ذلك الحديث عن المؤمنين بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ البقرة: 3-5، فبينهما جامع بالتضاد، وحكمته التشويق والثبوت على الأول، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء².

3. الاستطراد: "هو أن تخرج بعد تمهيد ما تريد أن تمهده إلى الأمر الذي تريد ذكره، فتذكره وكأنك غير قاصد لذكره بالذات، بل قد حصل ووقع ذكره من غير قصد، ثم تدعه وتتركه وتعود إلى الأمر الذي كنت في تمهيده"³، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿يَبْنَى ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ 62.

فهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد، فبعد أن ذكر الله تعالى في الآيات السابقة قصة آدم، وأنه ستر السوءات، وخصف الورق، وجعل له الأرض مستقراً إلى يوم القيامة، بيّن سبحانه وتعالى ما أنعم به على بني آدم من خلق اللباس، الذي يوارى السوءات؛ لما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وفي الآية إشعار بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى⁴.

¹ - ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (47/1).

² - ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (49/1).

³ - ابن معصوم المدني، علي بن أحمد بن محمد (ت: 1119هـ)، أنوار الربيع في أنواع البديع، ق: شاعر هادي شكر، (ط1388هـ)، (41).

⁴ - ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (ت: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط1407/3هـ)، (97/2).

4. حُسن التخلّص: "هو أن ينتقل مما ابتدأ به الكلام إلى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاصاً دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وقع عليه الثاني لشدة الإلتئام بينهما"¹، مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُزِلُّ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتِ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ الحديد: 9، في هذه الآية استئناف ثالث انتقل به الخطاب إلى المؤمنين والخطاب هنا صالح لتقرير ما أفادته الآية السابقة: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ الحديد: 8، فما عطف على هذه الجملة يقتضي أن تكون استئنافاً انتقالياً هو من حُسن التخلّص إلى خطاب المسلمين، إنَّ هذه الآية بموقعها ومعناها أفادت بياناً وتأكيذاً وتعليلاً وتخلّصاً لغرض جديد، مع أن كل جملة منها مستقلة بمعنى عظيم من الاستدلال والتذكير والإرشاد².

والفرق بين التخلّص والاستطراد، أنك في التخلّص تركت ما كنت فيه بالكلية، وأقبلت على ما تخلّصت إليه، وفي الاستطراد تمر بذكر الأمر الذي استطردت إليه مروراً كالبرق الخاطف، ثم تتركه وتعود إلى ما كنت فيه، كأنك لم تقصده وإنما عرض عرضاً³.

ولمعرفة المناسبة بين الآيات والصور ينبغي النَّظر إلى السورة الكريمة بتدبر وتأمل؛ لأن هذا يُعين الباحث على معرفة المناسبة بين آيات السورة الواحدة، واستنتاج معاني جديدة للآيات، وهذا التدبر والتأمل بحاجة إلى صبر من الباحث، فقد يستغرق الباحث وقتاً طويلاً في تدبر الآيات لكي يصل إلى الرابط الذي يربط الآيات بعضها ببعض، وهذا الربط لا يكون من وحي خياله، وإنما يجب عليه أن يُكثر من قراءة الكتب المختصة في علم المناسبات وكتب التفسير، وأخيراً فإنَّ علم المناسبات فن من الفنون الجميلة، فمن كان لديه موهبة في استنتاج الرابط بين الآيات والصور سيبدع في هذا المجال.

¹ - السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، (373/3).

² - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (371/27).

³ - ينظر: السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، (374-373/3).

المطلب الثاني: طرق الكشف عن مقاصد القرآن الكريم

للكشف عن مقاصد السور عدّة طرق، وفيما يأتي بيانها:

1. استقراء المفسر لآيات السورة، ثم السعي لإيجاد رابط مشترك يجمع آياتها، وقد ذكر علماء الأصول أنّ الاستقراء الذي يُحتج به على قسمين: الاستقراء الكامل أو الأغلب، والاستقراء الجزئي، وكلاهما يمكن الاحتجاج به، لكن من حيث القوة الاستقراء الكامل أعظم من الاستقراء الأغلب¹.

2. أن ينصّ العلماء أو طائفة من العلماء المحققين على أنّ هذه السورة مقصدها كذا. فمثلاً: سورة الإخلاص في توحيد الأسماء والصفات، وسورة الفاتحة في بيان محامد الله - جل وعلا-، وسورة النحل في النعم، إلى آخر ذلك مما هو تفصيل للأحكام الكلية الخمسة (الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال)، وأحكام الشريعة التفصيلية².

3. التأمل في اسم السورة: إنّ من عزّف المراد من اسم السورة عرف مقصودها، فإنّ كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مُسمّاه من خلال عنوانه الدالّ إجمالاً على تفصيل ما فيه، ومن الأمثلة الواضحة على ذلك (سورة القيامة)، حيث إنّ اسمها يدلّ على مقصود آياتها التي تتحدث عن يوم القيامة وما يجري فيه، وما يسبقه من الموت الذي يفضي بعد ذلك إلى البعث³.

4. إمعان النظر في أوائل السور وأواخرها يُمكن من الكشف عن مقاصدها من خلال الربط بين أول السورة وآخرها، ففي كثير من الأحيان تُختم السورة بما بدأت به⁴. مثال على

¹- ينظر: ال الشيخ، صالح عبد العزيز، محاضرة حول علم مقاصد السور،

²- ينظر: ال الشيخ، محاضرة حول علم مقاصد السور، <https://www.almeshkat.net/books/archive/books/mkased.pdf>، ص14، تاريخ الزيارة: 9-2-2019م.

³- ينظر: البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن (ت:885هـ)، مصادد النظر للإشراف على مقاصد السور، مكتبة المعارف،

⁴- ينظر: البقاعي، مصادد النظر للإشراف على مقاصد السور، (ط1408هـ)، (1392).

⁴- ينظر: البقاعي، مصادد النظر للإشراف على مقاصد السور، (1521).

ذلك: سورة الشورى تحدثت في أولها عن الوحي، قَالَ تَعَالَى: ﴿حَمَّ ۝ عَسَقَ ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ شورى: 1-4، وكذلك في أواخرها تحدثت عن الوحي، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَىٰ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ شورى: 25.

5. تأمل الكلمات المكررة في السورة، فتكرار بعض الكلمات في السورة الواحدة دليل على أهمية هذه الكلمات في بيان مقصدها، وهي تُعد نقطة انطلاق جيّدة للوصول إلى المقصد، وقد تكرّر في سورة مريم صفة الرحمن ست عشرة مرة، وذكر اسم الرحمة أربع مرات، ممّا يدل على أنّه من مقاصدها تحقيق وصف الله تعالى بصفة الرحمن، والرد على المشركين الذين تقعرّوا بإنكار هذا الوصف، وغيرها الكثير من الكلمات التي تكررت في سور القرآن¹.

6. النظرة الكلية للسورة ومراعاة سياقها: أي التعامل مع السورة وكأنها وحدة واحدة، وعدم التعامل مع كل جزء منها على حدة؛ لأنّ ذلك لن يوصل إلى الهدف المطلوب، فإنّ القضية الواحدة إن اشتملت على جُمْل، فبعضها متعلق ببعض؛ لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد، فلا مَحِيص للمفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، كما لا يصح الاختصار في النظر إلى بعض أجزاء الكلام دون بعض، إلا في حالة النظر وفهم الظاهر بحسب اللسان العربي وما يقتضيه².

بناء على ما تقدّم يُمكن القول: إنّ الكشف عن مقاصد السور أمر اجتهادي ليس بالضرورة أن يتفق عليه الجميع، كما إنّ التوصل إلى المقاصد العامّة والخاصة للسورة ليس بالأمر

¹ - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (59\16-60).

² - ينظر: الشاطبي، الموافقات، (266\4).

السهل؛ لأنَّ مقاصد السورة قد تكون ظاهرة ومصرح بها، وقد تكون خفيّة يحتاج الباحث إلى تدبر وتأمل لكي يصل إليها.

وقد اتبعتُ للكشف عن مقاصد سور الحواميم، القراءة التحليلية من كتب التفسير، ومن الكتب التي تناولت المقاصد والمناسبات بشكل عام، ثمَّ قسّمتُ كل سورة إلى موضوعات متفرعة، ثم ربطتُ بين هذه الموضوعات؛ لكي أتمكّن من الوصول إلى المقصد المشترك بين موضوعات السورة، فلا بد من أن يكون لربط الآيات مع بعضها البعض دور في توضيح مقاصد القرآن الكريم.

الفصل الثالث

دور علم المناسبات في بيان المقاصد القرآنية في سور الحواميم

المبحث الأول: العلاقة بين علم المناسبات ومقاصد القرآن

المبحث الثاني: دور كل من علم المناسبات والمقاصد في دلالة أحدهما على الآخر في سور الحواميم

المبحث الثالث: دور علم المناسبات في بيان العلاقة بين آيات الموضوع الواحد في سور الحواميم

الفصل الثالث

دور علم المناسبات في بيان المقاصد القرآنية في سور الحواميم

لعلم المناسبات علاقة وثيقة بعلم مقاصد القرآن الكريم، فهو يُعدُّ وسيلة من وسائل الكشف عن مقاصد القرآن الكريم سواء في السورة الواحدة، أو بين السور المتعددة.

وسأبين فيما يأتي دور علم المناسبات في بيان المقاصد القرآنية من خلال سور الحواميم:

المبحث الأول

العلاقة بين علم المناسبات ومقاصد القرآن الكريم

ذهب جمهور المفسرين إلى أنَّ علم المناسبات يقود إلى معرفة مقاصد القرآن الكريم، ونقل البقاعي عن أبي القاسم المشدالي البجائي حيث يقول: "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تتنظر الغرض الذي سيقَّت له السورة، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات، وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء العليل يدفع عنه الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الرِّبط بين جميع أجزاء القرآن، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مُفصلاً بين كل آية وآية في كل سورة وسورة"¹.

فمعرفة مقصد السورة يُعين على معرفة المناسبة بين آياتها، من خلال النَّظر إلى المقصد العام للسورة، ومقصد كل آية من السورة والوقوف على ذلك، وتأمل ما فيها من الموضوعات والأحكام، فهو يعين على معرفة المناسبة، وترابط الآيات بعضها مع بعض.

والعلاقة بين علم المناسبات وعلم مقاصد القرآن الكريم علاقة تكاملية، وهذا ما توصلت إليه الباحثة من خلال الدراسة التطبيقية لسور الحواميم، فبعد أن قمتُ بتقسيم سور الحواميم إلى

¹ - البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (18\1).

موضوعات تبيّن لي طبيعة العلاقة بينهما، وأنّ كلا منهما يؤدي إلى فهم ومعرفة الآخر، فالمناسبة بين الآيات في المقطع الواحد تقود إلى كشف المقصد القرآني لهذا المقطع، وكذلك فإنّ معرفة مقصد المقطع القرآني يُعين على تحديد المناسبة بين هذا المقطع والمقاطع الأخرى التي لها المقصد نفسه، ونزيد على ذلك بأنّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم، وأنزل معه المقاصد التي أراد الله تعالى تحقيقها من كتابه، وقد يتوصل الباحث إلى هذا المقصد مباشرة، وقد يحتاج إلى طرق ووسائل لكي يتمكن من معرفة هذه المقاصد القرآنيّة.

المبحث الثاني

دور كل من علم المناسبات والمقاصد في دلالة أحدهما على الآخر في سور الحواميم

المطلب الأول: المقاصد القرآنية المشتركة في سور الحواميم من خلال علم المناسبات

هناك مقاصد مشتركة في سور الحواميم، وبما أن سور الحواميم سور مكية فهي تسيّر على نهج السور المكية، في إثبات التوحيد، والثبوت، والبعث، وغيرها من القضايا التي اهتمت بها السور المكية، وسوف أعرض هنا بعض الأمثلة التي توضّح كيف يتم الربط بين المقاصد القرآنية من خلال علم المناسبات:

أ. لو تتبعنا فواتح سور الحواميم لوجدنا أنها تشير إلى مقصد واحد، وهو مصدرية القرآن الكريم، وهذا الاشتراك يكشف لنا عن وجود تناسب بين فواتح سور الحواميم على الرغم من اختلاف النظم والسياق الذي جاءت فيه الآيات.

ب. اشتراك سور الحواميم في مقصد بيان مصير المشكّكين بالوحي والأنبياء والدعوة، وتم الكشف عن هذا المقصد من خلال وجود ترابط بين الآيات المتفرقة في السور.

ففي سورة غافر، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ ظفر: 21-01، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ٧٧ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ ظفر: 91-71.

وفي سورة فصلت، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ هـ: 42-61.

وفي سورة الزخرف، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ ٧٦ لَا يُفَرِّجُ عَنْهُمْ إِلَّا زَخْرَفُ 77-74.

وفي سورة الدخان، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ الدخان: 04-05.

وفي سورة الجاثية، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَلِّ لِكُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ...﴾ الجاثية: 7-11، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ الجاثية: 33-53.

وفي سورة الأحقاف، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ 02.

ومن خلال النظر في هذه المقاطع نجد أنها مُشتركة في مقصد واحد، وهو بيان مصير المشككين بالوحي والرسالات، والأنبياء عليهم السلام، وقد كشف ذلك عن وجود انسجام وترابط بين هذه المقاطع القرآنية.

ج. اشتراك سور الحواميم في مقصد بيان مصير المؤمنين في الدنيا والآخرة، وتم الكشف عن هذا المقصد من خلال وجود ترابط بين الآيات المتفرقة في السور.

ففي سورة غافر، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ غافر: 7-9.

وفي سورة فصلت، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَلُّوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فصلت: 23-03.

وفي سورة الزخرف، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُخْبَرُونَ﴾ الزخرف: 96-37.

وفي سورة الدخان، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ الدخان: 15-75.

وفي سورة الجاثية، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ الجاثية: 03.

وفي سورة الأحقاف، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَلُّوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأحقاف: 31-41.

د. اشتراك سور الحواميم في مقصد سُنَّة الله تعالى في نصر الرسل، وتم الكشف عن هذا المقصد من خلال وجود تناسب بين الآيات المتفرقة في السور.

المقطع الأول: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ...﴾ طه: 55-85.

تُبَيِّن هذه الآيات سُنَّة الله تعالى بنصر رسله، حيث يدعوهم سبحانه وتعالى إلى الصبر على ما حلَّ بهم، والاستعانة بالله تعالى، ثم بينت أنَّ الذين يجادلون في آيات الله يُجادلون بغير سلطان، والذي حملهم على هذا الجدل الباطل هو غرورهم بحالهم وحال آبائهم.

المقطع الثاني: قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ..﴾ الجاثية: 18-19، تبين هذه الآيات دعوة الله تعالى لمحمد (صلى الله عليه وسلم) بالثبات على الشريعة، وعدم الانجرار خلف أهواء المشركين وشبهاتهم.

ومن خلال ما تقدَّم يتبين أن اشتراك هذه المقاطع مع بعضها البعض يكشف عن مقصد واحد، وهو سُنَّة الله تعالى في نصر رسله.

هـ. اشتراك سور الحواميم في مقصد بيان مظاهر قدرة الله تعالى وعظمته، وتم الكشف عن هذا المقصد من خلال وجود ترابط بين الآيات المتفرقة في السور.

43

كل سورة في القرآن هي وحدة كاملة مترابطة الأجزاء، وإن تناولت موضوعات متنوعة إلا أنها تدور حول مقصد واحد. وسوف أذكر هنا نماذج من سور الحواميم تبين كيفية الربط بين مقاصد السورة الواحدة ودور علم المناسبات في ذلك.

أولاً: تحليل موضوعات سورة الدُّخان وفق علم المناسبات

رقم الآيات	بداية نص الآيات	الموضوع
5-1	﴿حَمَّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ الدخان	زمن نزول القرآن الكريم في ليلة القدر
8-6	﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ الدخان	ربوبية الله تعالى وألوهيته
16-9	﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ﴾ الدخان	تهديد الكافرين بالعذاب الأليم
33-17	﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ الدخان	لقطات من قصة موسى عليه السلام وبني إسرائيل مع فرعون، وهلاك فرعون ونجاتهم
39-34	﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ۝ إِن هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى﴾ الدخان	رد شبهات الجاحدين وتهديدهم بالعذاب
50-40	﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الدخان	بيان مصير الجاحدين لدعوة محمد (صلى الله عليه وسلم)
59-51	﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ الدخان	بيان مصير المؤمنين المتقين

تبدأ سورة الدخان بالحديث عن القرآن الكريم وتنزيله في ليلة مباركة وهي ليلة القدر، ثم ذكر عقيب ذلك قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ

﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ٥١ دخان: 4-6، ليبين أن هذه الليلة المباركة فيها يُفَرِّقُ كل أمر حكيم، وأن ذلك الأمر الحكيم مخصوصاً بشرف أنه يظهر من عند الله تعالى، وفي هذا تأكيد على أن القرآن الكريم مرسل من عند الله تعالى، ثم بيّن أن ذلك الإرسال إنما كان لأجل تكميل الرحمة، وتلك الرحمة وقعت على وفق حاجات المحتاجين؛ لأن الله تعالى يسمع تضرعاتهم، ويعلم أنواع حاجاتهم¹، فلهذا قال: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ٥١ دخان: 6.

قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ ٥٢ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٥٣﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٥٤﴾ ٥٣ دخان: 7-9، إن الله تعالى هو المشرف على هذا الكون الحافظ لمن فيه وما فيه، فما ينزله للناس هو طرف من ربوبيته للكون كله، وفي قوله: ﴿إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ ٥٣ دخان: 7، "دليل على أن الكافرين كانوا يقرون بأن للسموات والأرض رباً وخالقاً، ففيل لهم: إِنَّ إِرْسَالَ الرِّسْلِ وَإِنزَالَ الْكُتُبِ رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ الَّذِي أَنْتُمْ مَقْرُونُونَ بِهِ وَمُعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كَانَ إِقْرَارُكُمْ عَنْ عِلْمٍ وَإِقَانٍ، ثُمَّ رَدَّ أَنْ يَكُونُوا مُوقِنِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾ ٥٤ دخان: 9، أي أن إقرارهم غير صادر عن علم وتيقن، ولا عن جدّ وحقيقة، بل قول مخلوط بهزة ولعب"².

ثم ناسب أن تذكر الآيات التالية: ﴿فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ ٥٥ يَعْثَى النَّاسُ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥٦﴾ ٥٦ دخان: 61-60، وعد الرسول (ﷺ) بانتقام الله تعالى من مكذبيه، ووعيد المشركين على جحودهم بدلائل الوجدانية وصدق الرسول (ﷺ)، والاستهزاء بالقرآن والرسول (ﷺ)، ثم ذكر الله تعالى قصة قوم فرعون مع موسى عليه السلام وبني إسرائيل وجعلها مثلاً لحال المشركين مع النبي (ﷺ)، والمؤمنين به، وجعل ما حل بهم إنذاراً بما سيحل بالمشركين من القحط والبطشة، مع تقريب حصول ذلك وإمكانه ويسره، وإن كانوا في حالة قوة فإن

¹ ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (654/27).

² الرّمخسري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، (271/4-272).

الله تعالى قادر عليهم¹، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۖ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ إِبَادِ اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ الدخان: 33-71.

"بعد هذه الجولة في مصرع فرعون وملئه، ونجاة موسى وقومه، وفتنة فرعون وأخذه، يعود إلى موقف المشركين من قضية البعث والنشور، وشكهم فيها، وإنكارهم لها. يعود ليربط بين قضية البعث وتصميم الوجود كله وبنائه على الحق والجد، الذي يقتضي هذا البعث والنشور"². تنتقل الآيات الكريمة من شبهة تكذيب الكافرين برسالة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، إلى شبهة أخرى وهي تكذيبهم بالبعث والنشور، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ۚ فَأَنُؤُا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الدخان: 53-73، يخبر الله تعالى في هذه الآيات أن المكذبين بالبعث والنشور يقولون: لا يوجد بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار بعد الموت، ثم قالوا متجربين على الله تعالى وينسبون له العجز بأن يأتي آبائهم، ثم بينت الآيات ما حل بقوم تبع، وإن هؤلاء الذين يجادلون وينكرون البعث والنشور ليسوا خيراً منهم، وقد اشتركوا في الإجماع فليتوقعوا من الهلاك ما أصاب قوم تبع، ثم تربط الآيات الكريمة بين البعث، وحكمة الله تعالى في خلق السماوات والأرض، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ۚ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الدخان: 83-93، جاءت هذه الآيات إثباتاً للقول بالبعث والنشور بعد الموت، وأن الله تعالى ما خلق السماوات والأرض لعباً ولهواً من غير فائدة، وإنما أوجدهما ليعبده العباد وحده لا شريك له، وليأمرهم وينهاهم ويثيبهم ويعاقبهم يوم القيامة على أفعالهم في الحياة الدنيا"³.

ثم ناسب بعد ذلك أن تُبين الآيات الكريمة جزاء الكافرين المنكرين للبعث والحساب يوم القيامة، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۖ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ۚ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الدخان: 40-05، فبعد ما ذكر الوعيد في الآيات المتقدمة قابلها بذكر الوعد في هذه الآيات، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي

¹ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، (294\25).

² - قطب سيد، في ظلال القرآن، (3763).

³ - ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (1\773 - 774).

مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾
كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ الدخان: 15-75.

بعد ما بينت الآيات الكريمة دلائل وحدانية الله تعالى وقدرته وشرح الوعد والوعيد، ختمت سورة الدخان بقوله تعالى: ﴿فَاتِّمَّا يَسِّرْنَاهُ لِبَلْسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ الدخان: 85-95، وناسب ختم سورة الدخان بهذه الآيات الكريمة؛ "لأن الله تعالى وصف القرآن في أول هذه السورة بكونه كتاباً مبيناً أي كثير البيان والفائدة، وذكر في خاتمتها ما يؤكد ذلك فقال: إن ذلك الكتاب المبين، الكثير الفائدة إنما يسرناه بلسانك، أي إنما أنزلناه عربياً بلغتك، لعلمهم يتذكرون، والله تعالى أنزله بلسان عربي لكي يؤمن به الكل، ولا يريد الكفر لأحد من عباده، ثم قال: فارتقب أي فانتظر ما يحل بهم إنهم مرتقبون ما يحل بك، متربصون بك الدوائر"¹.

ترابط آيات وموضوعات سورة الجاثية مع بعضها البعض يكشف عن المقصد الأساسي الذي تدور حوله سورة الدخان هو "الإنذار بالهلاك لمن لم يقبل ما في الذكر الحكيم من الخير والبركة رحمة جعلها بين عامة خلقه مشتركة"².

ثانياً: تحليل موضوعات سورة الجاثية وفق علم المناسبات

رقم الآيات	بداية نص الآيات	الموضوع
2-1	﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ الجاثية	مصدرية القرآن
6-3	﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الجاثية	دلائل وحدانية الله تعالى من إيجاد الخلق واختلاف الليل والنهار
11-7	﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ آفَافٍ أَثِيمٍ ٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا ﴿٨﴾ الجاثية	تهديد المشككين والمستهزئين بآيات الله تعالى

¹ - الرازي، مفاتيح الغيب، (667/27).

² - ينظر: البقاعي، مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (471/2).

13-12	﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ.....﴾ الجاثية	نِعْمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْخَلْقِ جَمِيعاً، بأن سخر لهم البحر والفلك والسماوات والأرض
15-14	﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.....﴾ الجاثية	دعوة المؤمنين للصفح عن الكافرين
20-16	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ.....﴾ الجاثية	امتحان بني إسرائيل وإخفاقهم
22-21	﴿أَمَرَ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ الجاثية	عدم تساوي المؤمنين بالكافرين
26-23	﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشًوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الجاثية	بيان سبب ضلال الكافرين باتباع الهوى، ونقض شبهاتهم بعدم الإيمان بالبعث
35-27	﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذُ يَحْسُرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ الجاثية	مشاهد من خزي وعذاب الكافرين يوم القيامة
37-36	﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الجاثية	حمدُ الله وتسبيحه ومُلكيته للكون

لقد جاء في مطلع سورة الجاثية أول دليل يدل على وحدانية الله تعالى، وهو الأمر بتعظيم القرآن الكريم والاعتناء به؛ لأنه منزل من عند الله تعالى المألوه المعبود لما اتصف به من صفات الكمال وانفرد به من النعم، الذي له العزة الكاملة والحكمة التامة، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٦﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ الجاثية: 3-5، فهذه الآيات جاءت مؤيدة لما ذكرته الآيات السابقة وهي قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ

الحكيم ﴿الجاثية: 2﴾، فهي كلها آيات بينات وأدلة واضحات على صدق القرآن الكريم، وكمال قدرة الله تعالى ووحدانيته، ثم ناسب أن يأتي قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ **الجاثية: 6**، ليبين أن أي كلام لن يبلغ كلام الله في القرآن، وأن أي إبداع لن يبلغ إبداع الله في الكون، بأن أية حقيقة لن تبلغ حقيقة الله في الثبوت والوضوح واليقين، وهنا لا يليق بمن لا يؤمن إلا التهديد والتنكيل، فناسب بعد ذلك ذكر جزاء من استكبر وكفر بآيات الله تعالى والأدلة الدالة على قدرته ووحدانيته، بأن لهم العذاب الأليم، فليس شيء مما عملوا أو ملكوا بنافعهم شيئاً، وأولياؤهم من دون الله تعالى لا يملكون لهم نصراً ولا شفاعَةً¹.

قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢٢) وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ **الجاثية: 21-31**، وبعد التهديد المخيف، يعود فيلمس قلوبهم لمساً رقيقاً، بالتذكير بأنعم الله تعالى التي سخرها لهم في هذا الكون، تعود الآيات الكريمة لتذكر الأدلة التي تدل على وحدانية الله تعالى وقدرته، ومن هذه النعم تسخير البحر لسير المراكب والسفن بأمره وتيسيره، ويسر لهم أنواعاً من التجارات والمكاسب، وسخر للعباد كل ما في السماوات والأرض، وهذا يدل على نفوذ مشيئة الله تعالى وكمال قدرته، وسعة رحمته سبحانه وتعالى².

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ **الجاثية: 41-51**، بعد ما بينت الآيات السابقة إنكار الكافرين لدلائل وحدانية الله تعالى وقدرته وحكمته، ناسب أن يتبع ذلك بدعوة المؤمنين الى الاستعلاء وسعة الأفق ورحابة الصدر في مواجهة الكافرين، كما يدعوهم إلى شيء من العطف على هؤلاء المساكين الذين لا يطلعون إلى أيام الله، التي يظهر فيها عظمة الله تعالى وقدرته، وتوجيه الذين آمنوا ليتسامحوا مع الكافرين، تسامح المغفرة والعفو، ثم يعقب على هذا بأن يترك المؤمنون الأمر كله لله يتولى جزاء المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته³.

¹ - ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3774-3775).

² - ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (775\1-776).

³ - ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (673\27-674).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ الجاثية: 61-71، ثم ناسب بعد ذلك عرض مشهد النعم والفضائل التي من الله تعالى بها على بني إسرائيل، وبين لهم الحق من الباطل، إلا أنهم اختلفوا بعد أن جاءهم العلم، والذي حملهم على هذا الاختلاف أهواؤهم وشهواتهم، ثم جاء قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ الجاثية: 81-82، يأمر رسوله محمد (صلى الله عليه وسلم)، بأن يتبع شريعة الله تعالى، ويدعو الى الخير وينهي عن كل شر، والله تعالى هو ولي المتقين، أما الظالمين فبعضهم أولياء بعض¹.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَرَ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٦٦﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ الجاثية: 12-22، يعقب على الحديث عن ولاية الظالمين بعضهم لبعض وولاية الله تعالى للمتقين، وعن طبيعة هذا القرآن بالقياس إلى المتقين، وأنه بصائر وهدى ورحمة لأهل اليقين، يعقب هذا الحديث بالتفرقة الحاسمة بين حال الذين يجترحون السيئات وحال الذين يعملون الصالحات وهم مؤمنون، ويستتكر أن يسوى بينهم في الحكم، وهم مختلفون في ميزان الله، والله قد أقام السماوات والأرض على أساس الحق والعدل، والحق أصيل في تصميم هذا الكون².

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الجاثية: 32، ويعقب على الحديث أن المؤمن والكافر لا يتساويا في الجزاء، يعقب هذا الحديث برسم نموذجاً عجبياً للنفس البشرية حين تترك الأصل الثابت، وتتبع الهوى المتقلب، وتخضع له، وتقيمها إلهاً قاهراً لها، فيختم الله على

¹ ينظر: السعدي، تفسير الكريم الرحمن، (777).

² قطب سيد، في ظلال القرآن، (3782).

سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة، والهدى هدى الله، وما من أحد يملك لأحد هدى أو ضلالة،
فذلك بيد الله وبمشيئته¹.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ الجاثية: 42، بعد ما وصفت الآيات الكريمة حال النفس البشرية حين تترك الأصل الثابت، وتتبع الهوى المتقلب، ناسب أن يتبعها ببيان موقف المشركين وشبهاتهم حول البعث والحساب، فهم ينظرون للحياة تلك النظرة القصيرة، بأنها هذا الشوط الذي يرونها في الدنيا رأي العين، جيل يموت وجيل يحيا، يظنون بأنه لا حياة بعد الموت، لكن هذه النظرة سطحية لا تتجاوز المظاهر، وظنهم هذا غامضاً واهياً، لا يقوم على تدبر، ولا يستند إلى علم، ثم جاء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا بَنَاتِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ الجاثية: 52-62، مُتصل اتصالاً وثيقاً بالآية السابقة، فهي ترد على شبهات الكافرين حول البعث والحساب، وتبين أن إنكارهم للبعث والحساب لم يقم على دليل، فالله تعالى هو الذي يحيي ثم يميت، فلا عجب في أن يحيي الناس ويجمعهم يوم القيامة، ويعقب على هذه الحقيقة الماثلة بالأصل الكلي الذي ترجع إليه قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِذِرُ يَحْسُرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ الجاثية: 72، فالله تعالى هو المهيمن على كل ما في الملك، وهو صانع كل شيء في الكون، وهو القادر على الإنشاء والإعادة لكل ما فيه².

ثم ناسب بعد ذلك أن تعرض الآيات مشهداً من مشاهد يوم القيامة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةٍ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الجاثية: 82-53، وصف الله تعالى شدة ذلك اليوم وهوله ليحذره العباد ويستعدوا له، وبيّنت الآيات الكريمة أن العباد يوم القيامة فريقين: الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات النعيم والفوز المبين، والذين كفروا بالله تعالى وأنكروا البعث والحساب فلهم عذاب أليم³.

¹ ينظر: قطب سيد، في ظلال القرآن، (3783).

² ينظر: قطب سيد، في ظلال القرآن، (3785).

³ ينظر: السعدي، تفسير الكريم الرحمن، (778\1).

بعد عرض هذا المشهد المؤثر العميق ينطلق هنا صوت التحميد والتمجيد لله تعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الجاثية: 63-73، "ينطلق صوت التحميد ليعلن وحدة الربوبية في هذا الوجود، في سمائه وأرضه، وإنسه وجنه، وطيره ووحشه، وسائر ما فيه، فكلهم في رعاية رب واحد يدبرهم ويرعاهم وله الحمد على الرعاية والتدبير. وينطلق صوت التمجيد ليعلن الكبرياء المطلقة لله في هذا الوجود، حيث يتصاغر كل كبير، وينحني كل جبار، ويستسلم كل متمرّد، للكبرياء المطلقة في هذا الوجود"¹، وناسب أن يتم ختم السورة بحمد وتمجيد الله تعالى؛ لأن سورة الجاثية احتوت على دلائل وحدانية الله تعالى ونعمه على العباد في الدنيا والآخرة، وهذا كله دليل على عظمته سبحانه وتعالى.

تناسب وترابط موضوعات سورة الجاثية مع بعضها البعض يكشف عن المقصد الأساسي الذي تدور حوله هذه السورة، وهو الأدلة والبراهين التي تدل على وحدانية الله تعالى وقدرته².

ثالثاً: تحليل موضوعات سورة الأحقاف وفق علم المناسبات

رقم الآيات	بداية نص الآيات	الموضوع
2-1	﴿حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ف	مصدرية القرآن
6-3	﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ف	بيان قدرة الله تعالى وفي المقابل ضعف من يدعون من دون الله
12-7	﴿وَإِذْ أَتَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِسَنَةٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا﴾ ف	تفنيذ النبي (صلى الله عليه وسلم) لشبهات الكافرين
14-13	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ ف	جزاء المؤمنين المستسلمين لله تعالى

¹ - قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3784).

² - ينظر: البقاعي، مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (4762).

17-15	﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ الْأَقِ اف	من صفات المؤمنين بر الوالدين وبيان ثوابه عند الله تعالى
20-18	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ﴾ ف	جزاء المشككين في دعوة محمد (صلى الله عليه وسلم)
25-21	﴿وَأَذْكُرْ أَنَا عَادٍ إِذْ أُنْذِرَ قَوْمَهُ بِأَلْحَقَافٍ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ﴾ ف	تكذيب قوم عاد لهود عليه السلام ودمارهم
28-26	﴿وَلَقَدْ مَكَنَّهُمْ فِيْمَا إِن مَّكَّنَّكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَابْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ف	دعوة الكفار للإعتبار من مصارع السابقين وتهديدهم
33-29	﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنَّ يَاسْتَمِعُونَ﴾ الْفُرَّانَ ف	إسلام الجن ودعوتهم لقومهم
34	﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ ف	اعتراف الكفار بالحق يوم القيامة
45	﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَرْصِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ ف	توجيه الرسول (صلى الله عليه وسلم) للصبر وعدم التعجل

تبدأ سورة الاحقاف بالحرفين: (حا، ميمف)، ثم يليهما الإشارة الى أن القرآن الكريم منزل من عند الله تعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ 2، ثم ناسب ذكر الأدلة التي تدل على وجود الله تعالى ووحدانيته، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُّعْرِضُونَ﴾ **الْأَقِ اف:3**، فخلق السماوات والأرض دليل على وجود الإله القادر المختار، وصحة القول بالبعث والقيامة؛ لأنَّ الله تعالى لم يخلق هذا الكون إلا بالحق ولأجل مسمى، ويأتي الرد على المنكرين للبعث والنشور بقوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأدق 4:4]، تبين هذه الآيات أنه لا يعقل أن يضاف إلى هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله تعالى خلق جزء من أجزاء هذا العالم، أو إسناد الإعانة إليها في أقل الأفعال وأدناها، فحينئذ صح القول أن الخالق الحقيقي لهذا الكون هو الله تعالى، وعبادة الكفار لهذه الأوثان لم يصدر في أي كتاب من الكتب السماوية¹.

ويعقب هذا الحديث بأن ما يعبدونه من دون الله ليس له القدرة على الخلق والإيجاد والنفع والضرر، وحتى إذا كان يوم القيامة وحشر الناس إلى ربهم، تبرأ هؤلاء وهؤلاء من عبادهم الضالين، وهذه الأصنام تعادي هؤلاء العابدين²، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفُلُونَ﴾ [6-5].

بعد ما تحدثت الآيات عن عقيدة المشركين وواقعهم، وإثبات وحدانية الله تعالى ونفي الشرك، يمضي السياق ليتحدث عن موقف المشركين من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وما جاءهم به من الحق، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُلِيَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الأدق 7:7]، لقد زعم المشركون أن ما جاء به محمد (صلى الله عليه وسلم) من المعجزات إنما هو سحر، وإذا سمعوا القرآن قالوا إنه افتراه واختلقه من عند نفسه.

ويأتي الرد على قولهم هذا مباشرة في الآيات التي تليها، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [8-01]، يقول الله تعالى على لسان سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم): إن افتريته

على سبيل الفرض، فإن الله تعالى يعاجلني بعقوبة بطلانه ذلك الافتراء وأنتم لا تقدرُونَ على دفعه عن معاجلتي بالعقوبة فكيف أقدم على هذه الفرية، وأعرض نفسي لعقابه³، ثم يُذكرهم سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ويقول لهم: لست أول رسول جاءكم حتى تستغربوا رسالتي وتستكروها، فقد تقدم من الرسل والأنبياء من وافقت دعوتي دعوتهم فلا شيء تتكرون رسالتي؟ ولست إلا بشرا والله تعالى

¹ - ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (5\28-6).

² - ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (7\28-8).

³ - ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (5\28-8).

هو المتصرف بي وبكم، ولستُ الآتي بالشيء من عندي، فإن قبلتم رسالتي وأجبتكم دعوتي فهو حظكم ونصيبكم في الدنيا والآخرة، وإن رددتم ذلك علي فحسابكم على الله، وماذا يكون موقفكم لو كان هذا القرآن من عند الله وشهد على صحته الموفقون من أهل الكتاب، فهل هذا إلا أعظم الظلم وأشد الكفر¹؟

ثم تعرض الآيات الكريمة شبهة أخرى من شبهات الكافرين في إنكارهم لنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)، والطعن في صحة القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسِيئُلُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ 11، قولهم لو كان هذا الدين خيراً ما سبقنا إليه هؤلاء الفقراء الصعاليك، وقولهم عن القرآن الكريم بأنه إفك قديم، ثم يأتي الرد على هذه الشبهة بقوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّنَذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ 21، "اي إن الذي يدل على صحة القرآن أنكم لا تتنازعون في أن الله تعالى أنزل التوراة على موسى عليه السلام، وجعل هذا الكتاب إماماً يقتدى به، ثم إن التوراة مشتملة على البشارة بمقدم محمد (صلى الله عليه وسلم)، فإذا سلّمتم كون التوراة إماماً يقتدى به، فاقبلوا حكمه في كون محمد (صلى الله عليه وسلم) حقاً من الله، وهذا القرآن مصدق لكتاب موسى عليه السلام في أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) رسولاً حقاً من عند الله²."

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ١٣ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ الأذق 31-41، بعد الإقرار بقضية التوحيد وقضية الوحي، جاءت هذه الآيات لتبين جزاء من آمن بالله تعالى وعمل صالحاً فإنهم يوم القيامة لا يخافون ولا يحزنون، خالدين في جنات النعيم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ

¹ - السعدي، تفسير الكريم الرحمن، (779\1).

² - الرازي، مفاتيح الغيب، (13\28).

عَلَىٰ وَعَلَىٰ وَلَدَيْ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي دِينِي ۖ إِنِّي تَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٥١﴾ الأ د ق ٥١، هناك خلاف بين المفسرين في بيان وجه مناسبة وقوع هذه الآية عقب التي قبلها، ذكر سيد قطب أن وجه اتصال الكلام ببعضه ببعض فيه دلالتان: "أولاهما: كثيراً ما ترد هذه الوصية لاحقة للكلام عن العقيدة في الله أو مصاحبة بها الحديث، فإن وشيجة الأبوة والنبوة هي أول وشيجة بعد وشيجة الإيمان في القوة والأهمية، وأولاهما بالرعاية والتشريف، والثانية: أن أصرة الإيمان هي الأولى وهي المقدمة، ثم تليها أصرة الدم في أوثق صورها"¹، وذكر القشيري: أن المقصود ببيان أنه لا يبعد أن يستجيب بعض الناس للنبي (صلى الله عليه وسلم) ويكفر به بعضهم كما اختلف حال الناس مع الوالدين². وقال ابن عساكر: "لما ذكر الله التوحيد والاستقامة عطف الوصية بالوالدين كما هو مقرون في غير آية من القرآن"³، ويقول ابن عاشور: "أن هذه الأقوال غير مقنعة في وجه الاتصال، ووجه الاتصال أن هذا انتقال إلى قول آخر من أقوال المشركين وهو كلامهم في إنكار البعث وجدالهم فيه، فإن ذلك من أصول كفرهم بمحل القصد من هذه الآيات قال تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أَفِ لَكُمْ مَا أَتَعَدَّيْنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَأَمِنَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هُوَ أَلَمُّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ الأ د ق ١٧-٨١، وصيغ هذا في أسلوب قصة جدال بين والدين مؤمنين وولد كافر، وقصة جدال بين ولد مؤمن ووالدين كافرين؛ لأن لذلك الأسلوب وقعاً في أنفس السامعين"⁴، وقول ابن عاشور هو القول الراجح للباحثة؛ لأنه أكثر هذه الأقوال اقناعاً في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ 61، تبين هذه الآية الكريمة أن الإحسان بالوالدين والدعاء لهما وللذرية من أفضل الأعمال، والله تعالى يتجاوز عن سيئاتهم، ثم يتبع

¹ - قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3800).

² - ينظر: القشيري، لطائف الإشارات، (3983).

³ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، (28126)، ولم أجد هذا القول لابن عساكر في كتبه.

⁴ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، (28126).

هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أَفِ لَكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أَخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ الأحقاف: 71، تتحدث هذه الآية عن الفريق المقصود من الآيات المبدوءة بقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ الأعراف: 51، وهو الفريق الذي كفر بربه وأساء إلى والديه، وقد علم أن والديه كانا مؤمنين، ثم ناسب بعد ذلك بيان جزاء الفريق المؤمن البار بوالديه، والفريق الكافر الجامع بين الكفر والعقوق وإنكار البعث¹، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَيُؤْتِيهِمْ أََعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١٩) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبَتْكُمْ طَبِيبَتُكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا﴾ 02-91.

ويعقب على هذا الحديث بذكر قصة قوم هود عليه السلام من أجل الموعظة للمشركون وأخذ العبرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعْبَدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ....﴾ 62-12، والعبرة التي يفيدها كل ذي سمع وبصر وقلب، ألا يغتر ذو قوة بقوته، ولا ذو مال بماله، ولا ذو علم بعلمه، فهذه قوة من قوى الكون تسلط على أصحاب القوة والمال والعلم والمتاع، فتدمر كل شيء، وتتركهم حين يأخذهم الله بسنته التي يأخذ بها المجرمين²، ثم تعود الآيات الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢٧) فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ الأعراف: 72-82، لتبين العبرة الكلية للمشركون لمصارع من حولهم من القرى من عاد وغير عاد، ولقد نوع الله تعالى في آياته لعل المكذبين يرجعون إلى ربهم ويتوبون، ولكنهم مضوا في ضلالتهم، فأخذهم العذاب الأليم، وما اتخذوه قربان يتقربون به إلى الله تعالى لا ينفعهم يوم القيامة ولا يشفع لهم عند الله تعالى³.

¹ ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (26\ 30-41).

² ينظر: قطب سيد، في ظلال القرآن، (3809).

³ ينظر: قطب سيد، في ظلال القرآن، (3810).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا^١ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ۖ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَنْقُومُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۖ﴾^٢ الأ ٢٩-٢٣، بعد ما أقرت الآيات السابقة نبوة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) على الإنس أردفه بإثبات نبوته على الجن، وكما أن في الإنس من آمن بالله تعالى وفيهم من كفر، جاءت هذه الآيات لتبين أن الجن فيهم من آمن وفيهم من كفر^٣، ويرسم النص القرآني مشهد النفر -وهم ما بين ثلاثة وعشرة- وهم يستمعون إلى هذا القرآن، ويصور لنا ما وقع في حسهم منه، من الروعة والتأثر والرغبة والخشوع، واعتبروا نزول هذا الكتاب إلى الأرض دعوة من الله لكل من بلغته من إنس وجن، واعتبروا محمد (عليه وسلم) داعياً لهم إلى الله تعالى بمجرد تلاوته لهذا القرآن واستماع الثقلين له، وآمنوا كذلك بالآخرة، وعرفوا أن الإيمان والاستجابة لله يكون معهما غفران الذنب والإجارة من العذاب.

وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^{٣٣}، لفته إلى الكون المنظور، الذي ورد ذكره في أول السورة، وكثيراً ما يتضمن السياق القرآني مثل هذا التناسق بين قول مباشر في السورة، وقول مثله يجيء في قصة، فيتم التطابق بين مصدرين على الحقيقة الواحدة^٢. فخلق الكون يشهد بالقدرة المبدعة، فالذي لديه القدرة على خلق السماوات والأرض قادر على البعث، ولا شك أن خلقها أعظم وأفخم من إعادة هذا الشخص حياً بعد أن صار ميتاً، والقادر على الأقوى الأكمل لا بد وأن يكون قادراً على الأقل والأضعف، والله تعالى قادر على كل شيء^٣، ثم ناسب بعد ذلك ذكر قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^٤ الأ ٢٩-٤٣، فبعد ذكر الإحياء يرتسم مشهد الحساب والاجزاء يوم القيامة كأنه شاخص للعيون.

^١ ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (24-26).

^٢ قطب سيد، في ظلال القرآن، (3816-3818).

^٣ ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (24-30).

ثم خُتِمت السورة بقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يُومَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فُهِلَّ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأ 53]، فبعد أن عرضت الآيات الكريمة في هذه السورة مقولات الكافرين عن الرسول (ﷺ) وعن القرآن الكريم، وبيان مصير الكافرين يوم القيامة، يجيء الإيقاع الأخير من هذه السورة، فيه توجيهاً ونصيحاً للرسول (ﷺ) أن يصبر على الكافرين؛ لأن جزاء الله تعالى لهم منهم قريب، فسوف يجازيهم على أقوالهم وأفعالهم¹.

ترابط آيات وموضوعات سورة الأحقاف مع بعضها البعض يكشف عن المقصد الأساسي الذي تدور حوله هذه السورة وهو "إنذار الكافرين بالدلالة على صدق الوعد في قيام الساعة"².

¹ - ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (28/24-30).

² - البقاعي، مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (2/480).

المبحث الثالث

دور علم المناسبات في بيان العلاقة بين آيات الموضوع الواحد في سور الحواميم

تناسب مجموعة من الآيات القرآنية مع بعضها البعض في السورة الواحدة يقود إلى الكشف عن مقصد هذه الآيات، ومن الأمثلة على ذلك:

أولاً: قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفَالِكِ تَحْمِلُونُ ﴿٨٠﴾ وَيُزِيكُمُ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ عفر: 18-97.

إن الله تعالى خلق هذه الأنعام ابتداء آية خارقة كخلق الإنسان، فبعث الحياة فيها وتركيبها وتصويرها كلها خوارق، وتتراط هذه الآيات مع بعضها البعض لتبين قدرة الله تعالى في خلق هذه الأنعام، فإن الله تعالى سخرها وزللها للإنسان، وفيها ما هو أضخم منه جسماً وأشد منه قوة، وجعل لهم فيها منافع كثيرة فمنها ركوبهم ومأكلهم، ولا يكفر بهذه النعم إلا كل مختال فخور.

وتراط هذه الآيات مع بعضها البعض يدل على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته.

ثانياً: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَ وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ فصلت: 5-8.

تحدثت هذه الآيات عن جحود وجدال الكافرين بآيات الله تعالى، ثم ناسب بعد ذلك إبطال شبهاتهم وبيان أن محمداً (عليه وسلم) بشرٌ مثلهم، ولكن الله تعالى اصطفاه من بين البشر وأوحى إليه، ليدعو الناس إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وبيان جزاء من كفر بالله تعالى بأن له العذاب الشديد، وأما من آمن وعمل الصالحات فله أجرٌ عظيم¹.

¹ - ينظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1420هـ)، (4/125).

وترابط هذه الآيات مع بعضها البعض يدل على جحود الكافرين للتوحيد ودعوة الرسل، وتقنيد شبهاتهم.

ثالثاً: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۖ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۖ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ۖ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِينُونَ﴾ الزخرف 47-77.

بعد ما بينت الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ الزخرف 47، إنَّ المَكِينِينَ بالرسالة مصيرهم الخلود في نار جهنم، جاء قوله تعالى: ﴿لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۖ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ۖ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِينُونَ﴾ الزخرف 47-77، ليصف حالهم في نار جهنم بأنهم مبلسون أي ذليلون ساكتون، والله تعالى لا يظلمهم بهذا العذاب إنما كانوا أنفسهم يظلمون بجحودهم وكفرهم بالله تعالى، عذابهم في نار جهنم لا يزيد ولا ينقص، وترابط هذه الآيات مع بعضها البعض يكشف عن مقصد مصير المشككين بالوحي والأنبياء والدعوة.

الفصل الرابع

دراسة تطبيقية لسور الحواميم

المبحث الأول: تعريف عام بسور الحواميم

المبحث الثاني: مقاصد سور الحواميم

المبحث الأول

تعريف عام بسور الحواميم

إنَّ معرفة وجه التناسب والترابط بين الآيات والسور القرآنية يقودنا إلى معرفة مقاصد السور، فمن كان لديه قُدرة كافية وعلم واسع في معرفة المناسبات بين الآيات والسور يتمكن من معرفة علم مقاصد القرآن، فمعرفة علم المناسبات بحاجة إلى ذكاء وتبحر في معاني الآيات الكريمة؛ لكشف مقصدها.

وقبل الحديث عن مقاصد سور الحواميم، لا بد من الحديث بصورة إجمالية عن سور الحواميم السبع، وهي: (غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف)

المطلب الأول: بين يدي سورة غافر

أولاً: تسميتها

لسورة غافر ثلاثة أسماء وهي:

1. غافر: "وسميت بهذا الاسم؛ لأنه لا يقدر على غفران ما يشاء لمن يشاء إلاَّ كامل العزة، ولا يعلم جميع الذنوب ليُسمى غافراً لها إلاَّ بالغ العلم"¹ وذو العزة هو القوي الذي لا يغلبه شيء، ولا يستطيع أحد أن يراجعه في قراراته، فهو إذا غفر لعباده لا يستطيع أحد أن يمنعه.

2. المؤمن: "لاشتمالها على قصة مؤمن آل فرعون"².

3. الطول: "لأنَّه لا يقدر على التطول المطلق إلا من كان كذلك، فإن كان ناقص العزة فهو قابل لأنَّ يمنعها من بعض التطولات مانع، ولن يكون ذلك، إلا بنقصان العلم"³.

¹ - البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (1\17).

² - البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (1\17).

³ - البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (2\17).

ثانياً: ترتيبها

ترتيب سورة غافر في القرآن الكريم هو الأربعين.

أما ترتيبها من حيث النزول، فقد نزلت بعد سورة "الزمر"، وقبل سورة فصلت، وهي أول سور الحواميم نزولاً¹.

ثالثاً: المعنى الإجمالي لسورة غافر

جاء في مطلع هذه السورة، بيان مصدر القرآن الكريم، وأنه من عند الله تعالى الذي يغفر ذنوب العباد ويقبل توبتهم، وبيّنت أنّ المتكبر على عبادة الله تعالى اغتراراً بحاله وماله فإن الله تعالى سوف يغير حاله ويهلكه. ثم بيّنت السورة وظيفة حملة العرش، وندم الكافرين المعاندين يوم القيامة واعترافهم بالذنوب، وأن العدل متحقق يوم القيامة ببيان جزاء الكافرين، وجزاء من آمن بالله تعالى، وذكر كيف أهلك الله تعالى القرون الماضية، وإنكار وجدال فرعون لموسى وذكر قصة مؤمن آل فرعون وجداله لفرعون، وعرض مناظرة وعتاب الضعفاء للذين يتبعونهم من المستكبرين، ووعد الله تعالى بالنصر لرسله، وتمكينهم، وبيان مصير المجادلين بآيات الله تعالى المماثل لمصير السابقين، وإقامة الحجة والبرهان على الكفار المجادلين المعاندين، وإظهار أنواع العجائب من صنع الله، وعجز المشركين عن الافلات من عذاب الله تعالى، وأنّ الإيمان والتوبة لا ينفعه صاحبها عند اليأس².

المطلب الثاني: بين يدي سورة فصلت

أولاً: تسميتها

لسورة فصلت أربعة أسماء وهي³:

¹ - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (76\24).

² - ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (563-482\27)، السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (731\1)-

(743)، قطب سيد، في ظلال القرآن، (3625-3576)، ابن عاشور، التحرير والتنوير، (226-75\24).

³ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، (227\24).

1. فصلت: لافتتاحها بقوله تعالى: ﴿كِتَبَ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ وَفُزِّنَا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾
فصلت: 3، وقد فصلَّ الله تعالى فيها الآيات، وأوضح الأدلة والبراهين الدالة على وجوده وقدرته ووحدانيته.

2. حم السجدة: لأن آياتها تشتمل على سجدة القرآن.

3. المصاييح: لقوله تعالى: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ فصلت: 01.

4. الأقوات: لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ فصلت: 12.

ثانياً: ترتيبها

ترتيب سورة فصلت في القرآن الكريم هو إحدى وأربعون.

أمَّا ترتيبها من حيث النزول، فقد نزلت بعد سورة غافر وقبل سورة الشورى¹.

ثالثاً: المعنى الإجمالي لسورة فصلت

تبين سورة فصلت شرف القرآن الكريم وعظيم شأنه، وعرض موقف الكافرين وشبهاتهم حول القرآن الكريم، وابطال هذه الشبهات ببيان مظاهر قدرة الله تعالى في خلق السماوات والأرض، فمن أعرض عن الإيمان بآيات الله تعالى فإنَّ مصيرهم مثل مصير قوم عاد وثمود، فلهم الخزي في الحياة الدنيا والآخرة، إذ يشهد عليهم يوم القيامة سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون، وعدم قدرة الكفار على الخروج من نار جهنم، ثم بيَّنت السورة مصير المؤمنين بأنَّ لهم جنات عدن خالدين فيها، ثمَّ عادت الآيات الكريمة لتبين عظيم شأن القرآن الكريم وتنزيهه من كل عيب ونقص، وتسليية النَّبي (صلى الله عليه وسلم) بأنَّ إلحاد الكافرين بالقرآن مثل إلحادهم بالكتب السماوية السابقة، وهذا يدل على أنَّ علم الله تعالى شامل، ثمَّ ذكرت موقف الإنسان من نعم الله تعالى².

¹ - ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (136).

² - ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (537\574)، السعدي، تفسير الكريم الرحمن، (744\751)، قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3626-3662)، ابن عاشور، التحرير والتنوير، (22\25-227\24).

المطلب الثالث: بين يدي سورة الشورى

أولاً: تسميتها

سميت هذه السورة بالشورى لوصف المؤمنين فيها بالتشاور في أمور حياتهم، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ الشورى: 38، وكأنَّ الله تعالى في هذه السورة يأمر المؤمنين بالتشاور في أمور دينهم ودنياهم؛ لما في ذلك من تحقيق لمصالحهم.

ثانياً: ترتيبها

ترتيب سورة الشورى في القرآن الكريم هو اثنان وأربعون.

أمَّا ترتيبها من حيث النزول فقد نزلت بعد سورة الكهف وقبل سورة إبراهيم¹.

ثالثاً: المعنى الإجمالي لسورة الشورى

جاء في مطلع هذه السورة إقرار بنبوّة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، فإن الله تعالى أوحى إليه كما أوحى إلى الرسل من قبله، فهو الذي خلق السماوات والأرض وتفرد في خلقهن، ثم بيّنت الآيات موقف العباد من مصدرية القرآن فمنهم آمن بها ومنهم من كفر، وإبطال شبهات الكافرين حول إثبات وحدانية الله تعالى وإثبات النبوة، وتعرض مصير المؤمنين والكافرين يوم القيامة، فإنَّ باب التوبة مفتوح أمام المكذّبين بآيات الله، ثم بيّنت الحكمة في تقدير الأرزاق وقسمتها، ثم بينت مظاهر قدرة الله، وأنَّ من اتبع دين الله تعالى والتزم بتعاليم الوحي فله فضل كبير عند الله تعالى، وبيان مصير الجاحدين للوحي بالذل والهوان يوم القيامة، ومنَّة الله تعالى على الخلق بما منحهم من الأولاد، وبيان كيفية نزول الوحي على الأنبياء، وبيان دور القرآن الكريم في التَّغيير وأنَّ مرجع الأمور كلها إلى الله تعالى².

¹ - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (24\25).

² - ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (615-575\27)، السعدي، تفسير الكريم الرحمن، (761-752\1)، قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3709-3663)، ابن عاشور، التحرير والتنوير، (156-23\25).

المطلب الرابع: بين يدي سورة الزخرف

أولاً: تسميتها

الزخرف في اللغة: الزينة¹. وسميت سورة الزخرف بهذا الاسم؛ لأن آياتها تتحدث عن الحياة الدنيا، وما فيها من الزينة، والدَّهَب، والمتاع الفاني، مقارنة بالنعيم الدائم في الآخرة²، قال تعالى: ﴿وَلِيُؤْتِيَهُمْ أَبُوْنَا وَسُرْرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ۝ وَزُخْرَفًا ۝ وَإِنَّ كُلَّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الزخرف: 34-35.

ثانياً: ترتيبها

ترتيب سورة الزخرف في القرآن الكريم هو ثلاثة وأربعون.

أمَّا ترتيبها من حيث النزول فقد نزلت بعد سورة فصلت، وقبل سورة الدُّخَان³.

ثالثاً: المعنى الإجمالي لسورة الزخرف

بدأت سورة الزخرف بالقسم بالقرآن الكريم؛ لبيان عظمتة وعلو شأنه، وعرض الحجج والبراهين التي تثبت وحدانية الله تعالى ووجوده، والرد على الكافرين الذين جعلوا الملائكة بنات الله، والرد على شبهاتهم حول شخص سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، ودعوة الناس إلى كلمة التوحيد، والتمسك بالوحي، والثبات على طريق الدعوة، والإخبار عن موقف فرعون من موسى عليه السلام ودعوته، وموقف بني إسرائيل من عيسى عليه السلام ودعوته، وبيان جزاء عباد الله المتقين في الدنيا والآخرة، وبيان جزاء المفترين على الأنبياء والدعوة، وبيان منهج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في التعامل مع المعاندين والمجادلين بآيات الله تعالى⁴.

¹ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (133\9).

² - ينظر: الزحيلي، التفسير المنير، (112\25).

³ - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (157\25).

⁴ ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (616\27-650)، السعدي، تفسير الكريم الرحمن، (762\1-770)، قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3710-3750)، ابن عاشور، التحرير والتنوير، (157\25-274).

المطلب الخامس: بين يدي سورة الدخان

أولاً: تسميتها

سُمِّيت سورة الدخان بهذا الاسم؛ لورود لفظ الدخان في آياتها، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ﴾ الدخان: 10.

كما تحدثت سورة الدخان عن إنذار الذين كفروا بآيات الله تعال بالهلاك وعلى ذلك دل تسميتها بالدخان؛ لأن الله تعالى هدد الذين كفروا بأن ينزل عليهم العذاب والهلاك في الدنيا¹.

ثانياً: ترتيبها

ترتيب سورة الدخان في القرآن الكريم هو أربعة وأربعون.

أمّا ترتيبها من حيث النزول، فقد نزلت بعد سورة الزخرف وقبل سورة الجاثية².

ثالثاً: المعنى الإجمالي لسورة الدخان

بدأت هذه السورة ببيان زمن بدء نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وتحديد هذه الليلة بأنها ليلة القدر، وبيان الآيات الدالة على ربوبية الله تعالى وألوهيته، وتهديد من كفر بوحداية الله تعالى، وذكر نموذج مقابلة فرعون دعوة موسى بالانكران والجحود، وبيان مصيرهم يوم القيامة، والرد على منكري البعث والنبوة وبيان عقوبتهم يوم القيامة في مقابل جزاء المؤمنين في الجنة³.

¹ - ينظر البقاعي، مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (471\2)

² - ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (275\25).

³ - ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (667-651\27)، السعدي، تفسير الكريم الرحمن، (774-771\1)، قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3751-3766)، ابن عاشور، التحرير والتنوير، (275\25-322).

المطلب السادس: بين يدي سورة الجاثية

أولاً: تسميتها

لسورة الجاثية ثلاثة أسماء هي:

1. الجاثية: وهي في اللغة مأخوذة من جثا، أي جلس على ركبتيه، يقال: جثا فلان على ركبتيه. وفي هذا دليل على الخضوع لله تعالى¹.

2. الشريعة: لورود لفظ الشريعة فيها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الجاثية: 18.

3. الدهر: لورود لفظ الدهر فيها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ الجاثية: 24.

ثانياً: ترتيبها

ترتيب سورة الجاثية في القرآن الكريم هو الخامسة والأربعون.

أمّا ترتيبها من حيث النزول، فقد نزلت بعد سورة الدخان وقبل سورة الأحقاف².

ثالثاً: المعنى الإجمالي لسورة الجاثية

بيان مصدريّة القرآن الكريم بأنّه من عند الله تعالى، وذكر مظاهر وحدانية الله تعالى وقدرته على إيجاد الخلق، وتهديد المشكّكين والمستهزئين بآيات الله تعالى، وبيان نعم الله تعالى على الخلق جميعاً، واختلاف بني إسرائيل من إتيانهم الوحي على الرغم من نعم الله عليهم، ثم أمر الله تعالى النبي (صلّى الله عليه وسلّم) بالثبات على الشريعة وعدم الانجرار وراء أهواء الكافرين وشبهاتهم؛ لأنّ سبب ضلال الكافرين هو الانجرار وراء أهوائهم واتباعهم لقرناء السوء، وبيان جزائهم يوم القيامة، وبيان ملكية الله تعالى وربوبيته وعظمته³.

¹ - ينظر: ابن منظور، لسان العرب، (131\14).

² - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (323\25).

³ - ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (677\27)، السعدي، تفسير الكريم الرحمن، (775\1-778)، قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3767-3788)، ابن عاشور، التحرير والتنوير، (323\25-378).

المطلب السابع: بين يدي سورة الأحقاف

أولاً: تسميتها

الأحقاف جمع حقف: والحقف هو ما اعوج واستطال من الرمل العظيم، وهو المكان الذي كان يسكنه قوم عاد¹، وسبب تسميتها بالأحقاف، ورود لفظ الأحقاف فيها ولم يرد في غيرها من السور²، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ الأحقاف: 21.

ثانياً: ترتيبها

ترتيب سورة الأحقاف في القرآن الكريم هو السادسة والأربعون.

أمّا ترتيبها من حيث النزول، فقد نزلت بعد سورة الجاثية وقبل سورة الذاريات³.

ثالثاً: المعنى الإجمالي لسورة الأحقاف

تحدثت سورة الأحقاف في البدء عن مصدريّة القرآن الكريم، وأنه منزل من عند الله تعالى، ثم بينت ضلال المشركين بعبادتهم للأوثان، وزعمهم أنها آلهة، ثم تحدثت عن شبهات الكافرين حول القرآن الكريم ورد هذه الشبهات بالبرهان الساطع، ثم تناولت نموذجين من نماذج البشرية في هدايتها وضلالها، فذكرت نموذج الولد الصالح البار بوالديه، ونموذج الولد الشقيّ العاق لوالديه الذي لا يؤمن بالله تعالى ولا بالبعث، ثم ذكرت نموذج من قصص الأمم السابقة وكيف عذبهم الله تعالى بذنوبهم، وفي هذه القصص دعوة لأمة محمد (صلى الله عليه وسلم) لأخذ العبرة والموعظة، ثم ختمت بقصة الجن الذين استمعوا القرآن وآمنوا به ثم عادوا إلى قومهم دعاة لما سمعوا، وذلك تذكيراً وتوبيخاً للمشركين بأن الجن وهم من عالم آخر علموا القرآن وأيقنوا بأنه من عند الله والمشركون وهم من عالم الإنس ومن جنس الرسول (صلى الله عليه وسلم) المبعوث بالقرآن وممن يتكلم بلغة القرآن لم يزلوا في ريب منه وتكذيب وإصرار⁴.

¹ - ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (801\1).

² - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (5\26).

³ - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (6\26).

⁴ - ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (31-5\27)، السعدي، تفسير الكريم الرحمن، (779\1-783)، قطب سيد، في ظلال القرآن، (3789-3821)، ابن عاشور، التحرير والتنوير، (5\26-70).

المبحث الثاني

مقاصد سور الحواميم

إنَّ فهم مقاصد القرآن الكريم وأهدافه يساعد على حُسن التعامل مع القرآن الكريم، وعلى الرغم من تنوع مقاصد القرآن الكريم وتعددتها، إلا أنَّ من يقرأ السورة القرآنية لا يشعر بوجود انقطاع أو انفصال بين آياتها، وإنما ينتقل من معنى إلى آخر بكل سهولة ويسر دون أن يَشْعُرَ القارئ بالانقطاع بين الآيات، فأياتها مترابطة ومتناسبة مع بعضها البعض كالوحدة الواحدة.

"إنَّ السورة مهما تعددت قضاياها فهي كلام واحد يتعلق آخره بأوله، وأوله بآخره، ويتراعى بجملته إلى غرض ومقصد واحد، كما تتعلق الجمل بعضها ببعض في القضية الواحدة"¹⁶².

فكل سورة في القرآن هي وحدة كاملة مترابطة الأجزاء، وإن تناولت موضوعات متنوعة إلا أنها تدور حول مقصد واحد.

المطلب الأول: المقاصد العامَّة لسور الحواميم

المقاصد العامَّة: هي الأهداف والأغراض التي نزل القرآن الكريم لتحقيقها، ويتم استنتاجها من خلال تقسيم السور إلى مقاصد فرعية، ومن ثم نستخلص المقاصد العامَّة المشتركة بينها.

¹⁶² - دراز، النبأ العظيم، (192)

والجدول يبين أهم المقاصد التي تناولتها كل سورة من سور الحواميم:

المقصد				اسم السورة
مظاهر قدرة الله تعالى وعظمته	سنة الله تعالى بنصر الرسل	جدال الكافرين بوحداية الله تعالى	جزاء المعاندين الجاحدين بآيات الله تعالى	مصدرية القرآن الكريم غافر
جزاء المعاندين والجاحدين بآيات الله تعالى	بيان سبب ضلال الكافرين	مظاهر قدرة الله تعالى	مصدرية القرآن الكريم	فصلت
تفنيد شبهات المعاندين والجاحدين بآيات الله			مظاهر قدرة الله تعالى	مصدرية الوحي وأنه من الله الشورى
بيان مصير المؤمنين المتقين في الدنيا والآخرة	جزاء ووعد لمن لم يستجب لدعوة الإسلام	موقف الأمم السابقة من دعوة الأنبياء عليهم السلام	عرض شبهات الكافرين وتفنيدها	القسم بالقرآن الكريم الزخرف
جزاء المشككين بدعوة محمد (صلى الله عليه وسلم)	جدال الكافرين بوحداية الله تعالى			زمن إنزال القرآن الكريم الدخان
مصير العباد يوم القيامة	دعوة النبي للثبات على الشريعة	بيان سبب ضلال الكافرين	مظاهر وحدانية الله تعالى	مصدرية القرآن الكريم الجاثية
إنكار الأمم السابقة دعوة رسلهم محمد (صلى الله عليه وسلم)	جزاء المشككين في دعوة محمد (صلى الله عليه وسلم)	تفنيد شبهات الكافرين		مصدرية القرآن الكريم الأحقاف

ومن خلال الجدول السابق نوضح أهم المقاصد العامة لسور الحواميم:

أولاً: بيان مصدرية القرآن الكريم

من المقاصد العامة التي تناولتها سور الحواميم بيان مصدرية القرآن الكريم، والمراد بمصدرية القرآن تأكيد وإثبات بأن القرآن الكريم نزل من عند الله تعالى.

فإذا تتبعنا فواتح سور الحواميم سنجد أنها تتناسب مع بعضها البعض، فكلها تتحدث عن مقصد واحد وهو بيان مصدرية القرآن الكريم، وذلك على الرغم من اختلاف النظم والسياق الذي جاءت فيه الآيات.

يقول السيوطي: "سور الحواميم بينهنّ من التشاكل الذي اختصت به، وهو أنّ كل واحدة منها استفتحت بالكتاب أو صفة الكتاب، مع تفاوت المقادير في الطول، والقصر، وتشاكل الكلام في النظام"¹.

قال تعالى في سورة غافر: ﴿حَمَّ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ غافر: 1-3، فالآية الكريمة تؤكد أن هذا القرآن من عند الله تعالى العزيز، وهو الذي لا يغلبه شيء ويغلب كل شيء، والله تعالى عليم بكل الأمور الظاهرة والباطنة².

وجاء في فاتحة سورة فصلت قوله تعالى: ﴿حَمَّ ۝ تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ وَفُزِّنَا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ فصلت: 1-4، فهذه الآيات تؤكد المقصد نفسه، وهو مصدرية القرآن الكريم، وفي قوله: ﴿تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فصلت: 2، يظهر الترابط بين مطلع هذه السورة (فصلت) ومطلع سورة غافر.

¹ - السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ)، معترك الإقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1408هـ)، (581).

² - ينظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (17-4-5).

وجاء في سورة الشورى قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الشورى: 3، فمطلع هذه السورة يؤكد بأن القرآن الكريم أنزل على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) بوحي من عند الله تعالى كما أوحى الكتب السماوية السابقة على من قبله من الأنبياء عليهم السلام.

أما سورة الدخان فقد أكدت على القضية ذاتها، وبينت على وجه التحديد الزمن الذي بدأ فيه نزول القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ الدخان: 3-4، وهناك اختلاف في تحديد هذه الليلة المباركة، ولكن ارتباط هذه الآية مع قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ القدر: 1، يؤكد بأن هذه الليلة المباركة هي ليلة القدر، ومع تقارب أوصاف هاتين الليلتين وجب القول بأن إحدى الليلتين هي الأخرى¹.

ثم جاء قوله تعالى في مطلع سورة الجاثية: ﴿حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ الجاثية: 1-2، وفي مطلع سورة الأحقاف قَالَ تَعَالَى: ﴿حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ 2-1، يتناسب مع مطلع السور السابقة، ويؤكد أن القرآن الكريم من عند الله تعالى.

وفي النهاية يتبين للباحثة أنَّ مطالع سور الحواميم وشيعة الصلة مع بعضها البعض، وهذا الترابط يكشف عن أحد المقاصد العامة لسور الحواميم وهو: بيان مصدرية القرآن الكريم.

ثانياً: بيان جحود الكافرين للتوحيد ودعوة الرسل وتفنيدهم شبهاتهم

سوف يتم عرض النماذج التي تتحدث عن جدال الكافرين حول وحدانية الله تعالى ودعوة رسله، حسب ترتيبها في سور الحواميم.

أولاً: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكْتَةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾ ﴿١﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُ الْكَافِرِينَ وَحَدُّ قَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ

¹ - ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (652/27).

وَأَسْتَغْفِرُهُ ۖ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ فصلت: 5-8.

المعنى الإجمالي: في هذه الآيات جدال ونقاش للمشركين المكذبين بآيات الله تعالى ونبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، فإذا دعاهم رسول الله إلى الإقرار بوحداية الله تعالى وتصديق ما في القرآن من أمر الله ونهيه قابلوا هذه الدعوة بالجحود والنكران، وتفنيد هذه الشبهات، وبيان أن محمد (صلى الله عليه وسلم) بشر مثلهم، وبيان جزاء من كفر بالله تعالى، ومن آمن وعمل الصالحات.¹

وجه المناسبة: تحدثت هذه الآيات عن جحود وجدال الكافرين بآيات الله تعالى، ثم ناسب بعد ذلك إبطال شبهاتهم وبيان أن محمداً (صلى الله عليه وسلم) بشر مثلهم، ولكن الله تعالى اصطفاه من بين البشر وأوحى إليه، ليدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وبيان جزاء من كفر بالله تعالى بأن له العذاب الشديد، وأما من آمن وعمل الصالحات فله أجر عظيم.²

ثانياً: قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَكُمْ بَالِغِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحُلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ الزخرف: 15-22.

المعنى الإجمالي: بعد أن أقر الكافرون بأن الله تعالى هو الذي خلق السماوات والأرض قالوا بأن الملائكة بنات الله، وكان العرب يبيغضون البنات، بحيث إذا بشر أحدهم بها اشتد غمه وامتلأ قلبه بالحزن، وقولهم بأن الملائكة إناث كفر آخر، فهم يجعلون الملائكة التي هي أكمل العباد وأكرمهم

¹ - ينظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (ت: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1420هـ)، (430\21).

² - ينظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (4\125).

على الله تعالى أنقصهم رأياً، وأخسهم صنفاً حسب رأيهم¹، ثم جعلوا حجتهم في عبادتهم للملائكة مشيئة الله تعالى، وهي حجة باطلة شرعاً وعقلاً، فكل عاقل لا يقبل الاحتجاج بالقدر، وأما شرعاً فإن الله تعالى أبطل الاحتجاج به؛ لأنه سبحانه وتعالى قد أقام الحجة على العباد، فلم يبق لأحد عليه حجة أصلاً ولهذا قال هنا: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ الزخرف: 20، أي: يتخرصون تخرصاً لا دليل عليه، ويتخبطون خبط عشواء².

وجه المناسبة: جاءت هذه الآيات لتذكر شبهات الكافرين وتبطلها، فقد جعلوا لله تعالى شركاء في الألوهية، ثم جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ الزخرف: 15، لإنكار ما زعم به المشركون بأن الملائكة بنات الله تعالى، وأن قولهم هذا كفر شديد، ثم تعود الآيات لتبطل قولهم بأن الملائكة إناث، فهم يجعلون الملائكة التي هي أكمل العباد وأكرمهم، أنقصهم رأياً وأخسهم صنفاً حسب رأيهم، وهنا يبدو الارتباط واضحاً بين الآيات الكريمة في إبطال شبهة الكافرين حول وحدانية الله تعالى، وإثبات أن الله تعالى وحده لا شريك له، فبعد جدالهم مع رسول الله وإبطال حججهم وبيان أن أقوالهم لم تُبَيَّنْ إلى دليل قاطع، فقالوا لتخليص أنفسهم من هذا الجدل: لو شاء الله تعالى ما عبدناهم، وقولهم هذا لا يستند على دليل عقلي فهل يعقل أن الله تعالى يقبل من عباده أن يعبدوا غيره وهو خلقهم لعبادته وحده لا شريك له؟ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: 65.

وبعد ما بينت هذه الآيات جدال الكافرين، وأن أقوالهم لم تستند على دليل عقلي جاء قوله تعالى: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمُ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ الزخرف: 12، ليؤكد نفي استناد أقوالهم إلى حجة النقل كأن يكون أرسل إليهم كتاب يؤكد قولهم، فبعد نفي جميع حججهم وشبهاتهم جاء في قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ الزخرف: 22، اعتراف منهم بأن سبب كفرهم وجحودهم هو تقليدهم الأعمى لآبائهم.

¹ ينظر: البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله (ت: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1418هـ)، (89\5).

² ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (1\763).

وهنا يبدو وجه المناسبة واضح بين هذه الآيات والآيات السابقة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ خَلَقْنَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝۹﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝۱۰﴾ زخرف 9-31، على الرغم من إقرار الكافرين بأن الله تعالى هو الذي خلق السماوات والأرض إلا أنهم جعلوا له من عباده جزءاً، وجاءت هذه الآيات لتبين سخافة عقولهم¹.

ثالثاً: قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ ۝۳۱﴾ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِيَّةً ۚ وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝۳۲﴾ زخرف 13-23.

المعنى الإجمالي: تتحدث هذه الآيات عن شبهات الكافرين حول شخص سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وقالوا بأن هذه الرسالة عظيمة القدر، فهي بحاجة إلى شخص كثير المال والجاه، ثم تم الرد على هذه الشبهات².

وجه المناسبة: جاءت هذه الآيات لتذكّر شبهة أخرى من شبهات الكافرين، وهي شبهة الكافرين حول شخص سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، فقد قالوا بأن هذه الرسالة عظيمة القدر، فهي بحاجة إلى شخص كثير المال والجاه، ومحمد (صلى الله عليه وسلم) لا يملك الجاه والمال، فجاء الرد على قولهم هذا بالآية التالية، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْحِيَّةً ۚ وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝۳۲﴾ زخرف 23، وقد رد عليهم القرآن منكراً اعتراضهم على رحمة الله تعالى، فالله تعالى قَسَمَ بينهم الرزق وجعل منهم الفقير والغني، وهذه رحمة من الله تعالى لكي يسخر بعضهم لبعض، فالمفدّر عليه بالرزق مسخر للمبسوط عليه بالرزق والعكس، وكما خص الله تعالى بعض عباده بالمال رحمة منه فهو أيضاً خص محمداً (صلى الله عليه وسلم) بالنبوة؛ رحمة منه، وهم قد عجزوا عن

¹ - ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (623/27).

² - ينظر: السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد (ت: 373هـ)، بحر العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1 1413هـ)، (2563).

الاعتراض على حكم الله تعالى في أحوال الدنيا مع قلتها ودنائتها، فكيف يمكنهم الاعتراض على حكم الله تعالى وقضائه في تخصيص العباد بمنصب النبوة والرئاسة¹.

وترتبط هذه الآيات بالآيات السابقة، فكلاهما دليل على إصرار الكافرين على كفرهم وجحودهم.

رابعاً: قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ (٧٨) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَّا أَوَّلُ الْعَالِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ زخرف: 68-87.

المعنى الاجمالي: تتحدث الآيات عن جحود الكافرين للقرآن الكريم، وإنكارهم لنبوة محمد (صلى الله عليه وسلم)، وشدة بغضهم للحق؛ لأنه يؤدي إلى زوال سلطانهم وتعطيل منافعهم، ثم نفت الآيات شبهات الكافرين حول وحدانية الله تعالى، وتنزيهه الله تعالى عما ينسبونه إليه من الولد والشركاء².

وجه المناسبة: "كراهة الحق هي التي كانت تحول بينهم وبين اتباعه، لا عدم إدراك أنه الحق، ولا الشك في صدق الرسول الكريم؛ فما عهدوا عليه كذباً على الناس قط، فكيف يكذب على الله ويدعي عليه ما يدعي؟

والذين يحاربون الحق لا يجهلون في الغالب أنه الحق، ولكنهم يكرهونه، لأنه يصادم أهواءهم، ويقف في طريق شهواتهم، وهم أضعف من أن يغالبوا أهواءهم وشهواتهم؛ ولكنهم أجزأ على الحق وعلى دعائه، فمن ضُغفهم تجاه الأهواء والشهوات يستمدون القوة على الحق والاجترار على الدعاة، لهذا يهددهم صاحب القوة والجبروت، العليم بما يسرون وما يمكرون، فإصرارهم على

¹ ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (629\27-630).

² ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (60-68).

الباطل في وجه الحق يقابله أمر الله الجازم وإرادته بتمكين هذا الحق وتنشيطه، وتدبيرهم ومكرهم في الظلام يقابله علم الله بالسر والنجوى، والعاقبة معروفة حين يقف الخلق الضعاف القاصرون أمام الخالق العزيز العليم¹، وبعد أن أقام الله تعالى الحجة على الكافرين بأنه ليس له شريك، ثم جاء قوله تعالى: ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ زخرف: 38، يتناسب مع الآيات السابقة وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبْدِينَ﴾ زخرف: 18، وتبين أن ما قاله الكافرين هو دليل على جهلهم وضلالهم، وأن ما كان عليه محمد (صلى الله عليه وسلم) هو الحق، وأن الله تعالى هو رب السماوات والأرض لا شريك له.

خامساً: قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ زخرف: 38-43.

المعنى الاجمالي: تتحدث الآيات عن إنكار الكافرين للبعث والنشور، والله تعالى يحذرهم أن يحل بهم مثل ما حل بقوم تبع والذين من قبلهم، ثم تبين الآيات أن الله تعالى ما خلق الخلق عبثاً بأن يوجد لهم ثم ينفهم بغير امتحان بطاعته، واتباع أمره ونهيه، وبغير مجازاة للمطيع على طاعته، والعاصي على معصيته، بل خلقهم ليبثلي من أراد امتحانه منهم بما شاء، ويجزي الذين أساءوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى².

وجه المناسبة: بعد أن تحدثت الآيات عن مصير فرعون وملئه، ونجاة موسى وقومه، وفتنة فرعون بجبروته وماله، تعود الآيات لتبين موقف المشركين من قضية البعث، وشكهم فيها وإنكارهم لها، ثم تربط الآيات بين قضية البعث وبيان الحكمة من الوجود كله والخلق³، فبعد أن ذكر سبحانه وتعالى إنكار الكافرين للبعث وبيان جزائهم، جاء قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا

¹ - قطب سيد، في ظلال القرآن، (3748).

² - ينظر: المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـ)، تفسير المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (ط 1365هـ)، (132\25).

³ - ينظر: قطب سيد، في ظلال القرآن، (3763).

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿الدخان: 38-39﴾، ليرد على المشركين الذين ينكرون البعث، وليبين كمال قدرة الله تعالى وتمام حكمته، فإن الله تعالى لم يخلق السماوات والأرض لعباً ولا لهواً، وإنما خلقهن بالحق، ولكنهم لم يتفكروا في خلق السماوات والأرض¹.

سادساً: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَى مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَ وَاسْتَكْبَرُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْ فُكِّ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانِ عَزِيزٍ لِّنَذِرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُنَشِّئُ لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٢١-٢٧﴾

المعنى الإجمالي: تتحدث هذه الآيات عن شبهة الكافرين حول مصداقية الوحي، وتفنيدها، وقولهم الباطل على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) بأنه اختلق هذا القرآن من عند نفسه².

وجه المناسبة: جاءت هذه الآيات لتعرض شبهة أخرى من شبهات الكافرين حول مصداقية الوحي، فبعد أن تحدثت الآيات السابقة عن ضعف الأنداد الذين اتخذهم المشركون شركاء مع الله تعالى في العبادة، وأقرت بوحداية الله تعالى، ناسب بعد ذلك ذكر موقف الكافرين من نبوة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) والقرآن الكريم، حيث بينت الآيات أن الكافرين إذا سمعوا القرآن قالوا بأنه سحر، وأن محمداً (صلى الله عليه وسلم) افتراه واختلقه من عند نفسه، وقد أبطل القرآن الكريم هذه الشبهات وردّها، بقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٢١-٢٧﴾﴾، فلو كان محمد (صلى الله عليه وسلم) قد

¹ - ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (774).

² - ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، (2843-285).

اختلق هذا القرآن من عند نفسه فإن الله تعالى عالم به، وبما يكن في صدره، فكيف لا يعاقبه على هذا الافتراء؟ وإذا أراد الله تعالى به ضرراً أو رحمة فلا يستطيع أحد أن يدفعها أو يمسكها عنه.

ثم جاء قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ 9، ليؤكد على إبطال شبهة الكافرين، فإن

محمداً (عليه وسلم) يدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى كما دعاهم قبله من الرسل، فكيف تستغربون وتستنكرون دعوته، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَنَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ 01،

فيذكر هنا حجة ثانية لإبطال شبهات الكافرين، لعلهم يرجعون عن أقوالهم الباطلة إلى قول الحق.

وعلى الرغم من هذه الحجج والأدلة التي تدل على إبطال أقوالهم وشبهاتهم إلا أنهم يستمرون بالبحود والنكران لآيات الله تعالى، وجاء قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ الأذ ق 11، ليعرض شبهة أخرى من شبهات الكافرين في إنكارهم لنبوته محمد (عليه وسلم)، وهي قولهم: لو كان في هذا خير لكانوا هم أول من آمن به، فجاء الرد لإبطال هذه الشبهة بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسَّحُوا بِهَٰذَا إِفْكًا قَدِيمًا﴾ الأذ ق 11، أي إن السبب لبحود الكافرين وإنكارهم لآيات الله تعالى هو غرورهم وكبرهم فإذا غرض عليهم لا يهتدون به وقالوا عنه بأنه إفك قديم.

ثالثاً: بيان مظاهر قدرة الله تعالى وعظمته

إن مظاهر قدرة الله وعظمته التي تدل على وحدانيته كثيرة، منها خلقه للسموات والأرض، وخلق الإنسان في أحسن صورة، وإحياء الأرض بعد موتها، وتقليب الليل والنهار.

وقد استدلل الله سبحانه وتعالى بمظاهر قدرته في الكون على إقناع الناس بالإيمان بالله تعالى ووحدانيته، كما أن الدعوة إلى الله تعالى عبارة عن تقرير الدلائل الدالة على ذات الله تعالى وصفاته، وقد استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب في جداله مع الجاحدين بآيات الله تعالى لإقامة الحجة عليهم بدلائل مرئية؛ للاعتراف بوحداية الله تعالى وعظمته، وليكشف لهم بأن ما هم عليه من الشرك هو الباطل، وأن ما جاء به القرآن الكريم هو الحق.

وسأبين فيما يأتي أهم مظاهر قدرة الله تعالى التي وردت في سور الحواميم:

أولاً: قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفَلَاحِ تَحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ غافر: 18-97.

المعنى الإجمالي: يُذكّر الله تعالى عباده بعظيم نِعَمه عليهم، فقد سخر لهم سبحانه وتعالى الأنعام؛ لينتفعوا بها بالركوب والحمل، والأكل والشرب، فالذي سخرها ألا يستحق أن يؤمنوا به ويتقوه¹؟

وجه المناسبة: تحدثت الآيات السابقة عن توجيه الرسول ﷺ والمؤمنين إلى الصبر؛ حتى يتحقق وعد الله تعالى ووعدته، وتسليّة النبي ﷺ بأن مصير المجادلين بآيات الله مثل مصير الأمم السابقة، ثم جاءت هذه الآيات لتبين بعض نِعَم الله تعالى على خلقه، التي تدل على قدرة الله تعالى ووحدانيته.

ثانياً: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فصل: 73-04.

المعنى الإجمالي: من دلائل وحدانية الله تعالى وعظيم سلطانه التي ذكرتها الآيات، اختلاف الليل والنهار، وجريان الشمس والقمر بنظام ودقة، فلا يدرك أحدهما الآخر، وإحياء الموتى، وفي ذلك حُجّة على الذين يجحدون وينكرون آيات الله تعالى، فالله تعالى عليم وبصير بكل تصرفاتهم².

¹ - ينظر: القشيري، لطائف الإشارات، (317/3).

² - ينظر: الطبري، جامع البيان، (478-473/21).

وجه المناسبة: بعد أن تحدّثت الآيات السابقة عن موقف المؤمنين من الأعداء، والاستعاذة بالله تعالى من شر الشيطان الرجيم، وأن أحسن الأقوال والأعمال هي الدّعوة إلى الله تعالى، جاءت هذه الآيات لتبين دلائل وحدانية الله تعالى وقدرته، ويبدو الارتباط واضحاً بين هذه الآيات وما سبقها، إذ تُرشدنا هذه الآيات أن نستعين بمالك الملك، الذي يُسير الشمس والقمر بقدرته، وأن من أعظم وسائل الدّعوة تذكير الناس بمظاهر قدرته في الكون سبحانه وتعالى.

ثالثاً: قَالَ تَعَالَى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٩٤﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنِثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ الشورى: 94-95.

المعنى الإجمالي: من دلائل قدرة الله تعالى أن له ما في السماوات والأرض، ويقسم النّعم بين العباد كيف يشاء، ويجعل أحوال العباد في الأولاد مختلفة على مقتضى مشيئته سبحانه¹.

وجه المناسبة: المناسبة واضحة بين هذه الآيات التي تتحدث عن دلائل قدرة الله تعالى، والآيات السابقة التي قال تعالى فيها: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا أَلْبَلَعُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ الشورى: 84، فهذه الآية الكريمة تُنسب الخير الذي يصيب الإنسان إلى الله تعالى، وتُنسب الضر إلى كسب الناس، وأن ما يصيب الناس من ضر هو مسوق إليهم من عند غير الله، وحتى لا يقع الناس في وهم وخاصة من لا يعرفون الله ولا يقدرونه حق قدره، جاء قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثًا﴾ الشورى: 49، ليقرر أن كل ما في السماوات والأرض وما يجري فيها من عند الله تعالى، فالله تعالى يخلق ما يشاء ويهب ما يشاء لمن يشاء ويمنع ما يشاء².

¹ - ينظر: الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: 427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ق: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1422هـ)، (323\8-324).

² - ينظر: الخطيب، عبد الكريم يونس (ت: 1390هـ)، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، (ط1419هـ)، (78\13).

رابعاً: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ فِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَأَخْتَلَفُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَلْحِيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [آية: 3-6].

المعنى الإجمالي: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى الْعَزِيزِ فِي انتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ وَالْحَكِيمِ فِي تَدْبِيرِهِ أَمْرَ خَلْقِهِ، وَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ اللَّاتِي مِنْهُنَّ نَزُولُ الْغَيْثِ، وَالْأَرْضَ الَّتِي مِنْهَا خُرُوجُ الْخَلْقِ لِأَدْلَةٍ وَحُجٍّ لِلْمُصَدِّقِينَ بِالْحُجِّ إِذَا تَبَيَّنُوها وَرَأَوْها، وَفِي خَلْقِكُمْ وَخَلْقِ الدَّوَابِّ حُجٌّ وَأَدْلَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ، وَكُلُّ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْحُجَجِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى يُخْبِرُ بِهَا نَبِيَّهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِالْحَقِّ لَا بِالْبَاطِلِ لِيُقَرِّبَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى¹.

وجه المناسبة: بعد أن بَيَّنَّتِ الْآيَاتُ السَّابِقَةُ مَصْدَرِيَّةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، نَاسِبٌ أَنْ يَذْكَرَ دَلَائِلَ وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ؛ لِذَلِكَ جَاءَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [الْجاثية: 6]، لِيُؤَكِّدَ وَيُثَبِّتَ أَنَّ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَمْ يَعتَبِرْ بِدَلَائِلِ عَظَمَتِهِ وَقُدْرَتِهِ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ذَلِكَ سِيُؤْمِنُ؟

وَمِنْ خِلَالِ مَا سَبَقَ نَرَى كَيْفَ تَرَابَطَتِ هَذِهِ الْآيَاتُ مَعَ بَعْضِهَا الْبَعْضَ، لِتَسِيرَ تَحْتَ عَنَوَانٍ وَاحِدٍ وَهُوَ: مَقْصِدُ بَيَانِ مَظَاهِرِ وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُدْرَتِهِ.

رابعاً: بيان مصير المشككين بالوحي والرسالات والأنبياء عليهم السلام

أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِأَنَّ الْهَلَكَ وَالْعَذَابَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ هُوَ مَصِيرُ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَالْمُشَكِّكِينَ بِالْوَحْيِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالِدُّعَاةِ.

¹ - ينظر: الطبري، جامع البيان، (62-61\22).

وسأبين فيما يأتي الآيات التي تتعلق بهذا المقصد في سور الحواميم:

أولاً: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ عفر: 21-01.

المعنى الإجمالي: أعد الله تعالى يوم القيامة للكافرين عذاباً مادياً محسوساً بأن جعل لهم عذاباً أليماً في نار جهنم، وأعدَّ لهم أيضاً عذاباً معنوياً، يتمثل في اعترافهم بذنوبهم، وندمهم على ما وقع منهم في الدنيا من الجحود، والإنكار لآيات الله تعالى وتكذيب الرسل¹.

وجه المناسبة: تناولت هذه الآيات حال الكافرين يوم القيامة، وندمهم على عدم اتباعهم لدين الله تعالى، واعترافهم بذنوبهم.

وبنظرة فاحصة تبدو المقابلة واضحة مع الآيات التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ عفر: 8-9، فهذه الآيات تتحدث عن جزاء المؤمنين يوم القيامة، وأن من نال رحمة الله تعالى فقد فاز فوزاً عظيماً، وبهذا يتضح الفرق بين مصير من آمن بالله تعالى، ومصير من كفر وجحد بآياته.

ثانياً: قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ أَنْزِلُ يُضْرَفُونَ ٦٦﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٦٧﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ٦٨﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ٦٩﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ آيَاتِ مَا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ ٧٠﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ تَكُنْ تَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ٧١﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ٧٢﴾ أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَشِّرْهُم بِمَوْتِ الْمَتَكِبِينَ ﴿٧٣﴾ عفر: 67-96.

¹ - الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (268٨).

المعنى الإجمالي: يخاطب الله تعالى في هذه الآيات نبيه محمداً (صلى الله عليه وسلم)، متعجباً من المشركين الذين يجادلون بالقرآن، ويقولون إنه ليس من عند الله، ويجحدون وينكرون آيات الله، فكيف يصرفون عن دين الله الذي هو الحق إلى الباطل؟ فهؤلاء مصيرهم نار جهنم خالدين فيها¹.

وجه المناسبة: بعد أن جاء النهي عن عبادة الأصنام، والأمر بالاستسلام لله تعالى، والإيمان بأن هذا القرآن من عند الله تعالى، وبيان دلائل وحدانية الله تعالى وألوهيته، بينت هذه الآيات حال الذين يجادلون بآيات الله تعالى، **﴿قَالَ تَعَالَى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنْزَلْنَاهُ يُصْرَفُونَ﴾** غافر: 96، فكيف يجادل هؤلاء بآيات الله تعالى وهي بيينة وواضحة؟ وأين ينصرفون بعد كفرهم بهذه الآيات الواضحة؟ ثم ناسب بعد ذلك بيان جزاء الكافرين الجاحدين بآيات الله تعالى؛ حتى لا يكون لهم حجة عند الله تعالى يوم القيامة.

ثالثاً: **﴿قَالَ تَعَالَى: «وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٩١﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَقُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا دُعَاؤُنَا لِرَبِّنَا قَالُوا لَآ نَظُنُّ اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٩٣﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾** هود: 42-91.

المعنى الإجمالي: تبين الآيات الكريمة مشهداً من مشاهد يوم القيامة، حيث يُحشر الكفار والمنافقون إلى نار جهنم، ويُسألون أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون؟ فيحلفون بالله كذباً أنهم ما كانوا مشركين، فيختم الله على أفواههم، وتشهد جوارحهم عليهم، فتنتطق بما كتمت ألسنتهم².

وجه المناسبة: جاءت هذه الآيات لتذكر نوعاً آخر من أنواع العذاب الذي سيناله الكافرين يوم القيامة، فقد تحدثت الآيات السابقة عن هلاك قوم عاد وثمود في الدنيا والآخرة، ونجاة الذين آمنوا منهم بالله تعالى، وهي قوله تعالى: **﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ**

¹ - ينظر: القشيري، لطائف الإشارات، (317/3163).

² - ينظر: السمرقندي، بحر العلوم، دار الكتب العلمية، (223/3).

مِنَّا قُوَّةٌ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا... ﴿٥٦﴾ 51-81، ثم جاءت هذه الآيات متعلقة بما قبلها؛ لتبين حال جميع الكافرين والجاحدين بآيات الله تعالى يوم القيامة، وتترابط هذه الآيات بعضها مع بعض؛ لتكشف عن مشهد من مشاهد يوم القيامة، وهو شهادة جلودهم وسمعهم وأبصارهم عليهم، وهل هناك عذاب نفسي أشد من هذا العذاب؟

رابعاً: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٦﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَنَّمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكُونُونَ ﴿٧٧﴾﴾ زخرف: 47-77.

المعنى الإجمالي: تتحدث هذه الآيات عن بيان جزاء المفترين على الأنبياء عليهم السلام والدعوة، بأن لهم نار جهنم خالدين فيها، لا يُخَفَّف عنهم العذاب ولا ينقص¹.

وجه المناسبة: ترتبط هذه الآيات مع بعض البعض لتبين جزاء المفترين على الأنبياء عليهم السلام ودعوتهم، وتبدو المقابلة واضحة بين هذه الآيات والآيات السابقة وهي قوله تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَعْبَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ أَلْوَمٌ وَلَا أَنْتُمْ تُخْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ زخرف 67-76.

"فإن الله تعالى لما ذكر الوعد، أردفه بالوعيد على الترتيب المستمر في القرآن"².

خامساً: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ أَفَّاكٌ أَثِيمٌ ﴿٧٠﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨٠﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٠﴾ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ الجاثية: 7-11.

¹ ينظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (343-344).

² الرازي، مفاتيح الغيب، (143/27).

المعنى الإجمالي: تبين هذه الآيات مصير الكافرين الذين يسمعون آيات الله تعالى تتلى عليهم ولكنهم يستكبرون ويصرون على العصيان والكفر، وكأنهم لم يسمعوا شيئاً، فهددهم الله تعالى بالعذاب الأليم.

وجه المناسبة: بعد أن ذكرت الآيات السابقة دلائل وحدانية الله تعالى من خلق الإنسان واختلاف الليل والنهار، ناسب بعد ذلك ذكر جزاء الكافرين، وتهديدهم بالويل والعذاب الأليم إذا لم يعتبروا بدلائل وحدانية الله تعالى ويؤمنوا به.

خامساً: بيان مصير المؤمنين في الدنيا والآخرة

تحدث الله تعالى في كتابه العزيز عن صفات المؤمنين بالله تعالى، وبين عظيم الأجر والجزاء المحفوظ لهم يوم القيامة، فهم ينعمون برحمة واسعة ورضوان عظيم فلا يسخط عليهم بعده أبداً.

وسأبين فيما يأتي ما يتعلق بهذا المقصد في سور الحواميم:

أولاً: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ 23-03.

المعنى الإجمالي: تتحدث هذه الآيات عن نعيم وجزاء الموحدين بالله تعالى في الدنيا والآخرة، بأن لهم جنات النعيم لهم فيها ما تشتهي أنفسهم، وأن الملائكة أولياؤهم في الدنيا والآخرة¹.

وجه المناسبة: تحدثت الآيات السابقة عن قرناء السوء الذين هم السبب في ضلال الكافرين وبيان مصيرهم يوم القيامة وهي قوله تعالى: ﴿وَقِضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا

¹ - ينظر: القشيري، لطائف الإشارات، (327/3-328).

خَاسِرِينَ ﴿فَصَلَتْ: 52-92، وتبدو المقابلة واضحة مع هذه الآيات التي تبين جزاء المؤمنين الموحدين يوم القيامة.

ثانياً: قَالَ تَعَالَى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٧٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٨٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ الزخرف 37-76.

المعنى الإجمالي: تبين الآيات الكريمة أنَّ الأخلاء الذين كانوا على معصية الله تعالى في الدنيا يتبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة، إلا الأخلاء المتحابين في الله تعالى¹.

وجه المناسبة: بعد ما جاء قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ الزخرف 56-66، ناسب أن تأتي هذه الآيات لتبين وكأن الله تعالى يقول "ما ينتظر المكذبون، وهل يتوقعون أن الساعة لا تأتيهم فإذا جاءت، فلا تسأل عن أحوال من كذب بها، واستهزأ بمن جاء بها، وإن الأخلاء يوم القيامة، المتخالين على الكفر والتكذيب ومعصية الله، بعضهم لبعض عدو؛ لأن خلعتهم ومحبتهم في الدنيا لغير الله، فانقلبت يوم القيامة عداوة، إلا المتقين للشرك والمعاصي، فإن محبتهم تدوم وتتصل، بدوام من كانت المحبة لأجله، ثم ذكر ثواب المتقين، وأن الله تعالى يناديهم يوم القيامة بما يسر قلوبهم، ويذهب عنهم كل آفة وشر"²، وتسرد الآيات الكريمة الكثير من نعم الله تعالى على عباده المتقين في الجنة.

ثالثاً: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعْنَاهُمْ عَذَابَ

¹ - ينظر: القشيري، لطائف الإشارات، (373-374).

² - السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (1/769).

الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلَا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ الدخان: 15-95.

المعنى الإجمالي: تبين الآيات الكريمة مصير المؤمنين المتقين، بأن لهم جنات النعيم، ولباسهم فيها من حرير، وراشهم من سندس واستبرق، ولا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى، وهي قبض أرواحهم في الدنيا¹.

وجه المناسبة: إن هذه الآيات وشيجة الصلة مع بعضها البعض، فهي تبين نعم الله تعالى على المؤمنين يوم القيامة، وبمنظرة فاحصة تبدو المقابلة واضحة بين هذه الآيات والآيات السابقة، لتثبت بأن وعد الله تعالى ووعيده متحقق يوم القيامة.

سادساً: بيان سنة الله تعالى في نصر الرسل

بيّنت سور الحواميم سنة الله تعالى في نصر الرسل، وذلك من خلال دعوة الله تعالى لرسله بأن يصبروا على جدال الكافرين المعاندين دون حجة، وأن يستعينوا بالله تعالى على ذلك، ثم دعت الآيات النبي الكريم إلى الثبات على الشريعة، وعدم الإنجرار وراء أهوائهم وشهواتهم.

وسأبين فيما يأتي الآيات الكريمة التي تتعلق بهذا المقصد في سور الحواميم:

أولاً: قَالَ تَعَالَى ﴿فَاصْبِرْ إِنَّا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ حَقِّ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ عفر: 55-85.

المعنى الإجمالي: إن الله تعالى يوصي رسوله محمداً (ﷺ) بأن يصبر كما صبر من قبله أولو العزم من المرسلون، ومن جادل في آيات الله تعالى ليبطلها بالباطل، بغير بينة من أمره ولا حجة،

¹ - ينظر، القشيري، لطائف الإشارات، (3863-388).

وإن هذا الجدل صادر من كبر في صدورهم على الحق وعلى من جاء به، يريدون الاستعلاء عليه بما معهم من الباطل¹.

وجه المناسبة: بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن نجاة موسى عليه السلام، ومن معه من الذين آمنوا به، وأن الله تعالى ينصر رسله عليهم السلام والذين آمنوا معه على أعدائهم، وبيان جزائهم يوم القيامة، جاءت هذه الآيات لترتبط مع ما قبلها من خلال بيان طريقة الله وسنته بنصر رسله عليهم السلام، وذلك بحثهم على الصبر على ما حلَّ بهم، والاستعانة بالله تعالى.

ثم بينت أن الذين يجادلون في آيات الله فإنهم يجادلون بغير سلطان، والذي حملهم على هذا الجدل الباطل هو غرورهم بحالهم وحال آبائهم، وهذا يرتبط بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ غافر: 85، فشبّه الذي يجادل بدون دليل بالأعمى، أما الذي يجادل بدليل فهو كالبصير فلا يستويان؛ لأنه لا يستوي الجاهل والعالم المستدل، وهناك تفاوت بين الذي يعمل الصالحات والذي يأتي بالأعمال الباطلة².

ثانياً: قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَغْنُؤُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ الجاثية: 81-91.

المعنى الاجمالي: تُبين هذه الآيات دعوة الله تعالى لمحمد (صلى الله عليه وسلم) بالثبات على الشريعة، وعدم الانجرار خلف أهواء المشركين وشبهاتهم، وهي سنة أخرى من سنن الله تعالى في نصر رسله³.

وجه المناسبة: بعد أن بينت الآيات السابقة أن كفار قريش أعرضوا عن الحق؛ لاغترارهم بأنفسهم وقوتهم، ناسب بعد ذلك أن يذكر أمر الله تعالى لرسوله (صلى الله عليه وسلم) بالثبات على الشريعة، وعدم الاغترار بنعم الدنيا، والانجرار وراء أهواء الكافرين، ووجوب التمسك بالحق وإظهاره.

¹ ينظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (738-740).

² ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (526/27).

³ ينظر، الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (360/8).

المطلب الثاني: المقاصد الخاصة لكل سورة من سور الحواميم

المقاصد الخاصة للقرآن الكريم قد تكون خاصة بباب معين، أو أبواب معينة، ومجالاتها ومقاصدها متنوعة مثل: مجال العبادات، ومجال العقوبات، ومجال المعاملات، ومجال الأسرة، وغيرها الكثير¹.

والمراد بالمقاصد الخاصة للقرآن: هي "الغايات والأسرار الملحوظة في أنواع خاصة من تشريع القرآن الكريم"².

فكل سورة في القرآن الكريم تتناول العديد من الموضوعات، لكن كل هذه الموضوعات تدور حول مقصد واحد خاص يشمل جميع موضوعات السورة، ومن خلال الربط بين الآيات والموضوعات نتوصل إلى المقصد الخاص للسورة.

وسأبين فيما يأتي المقاصد الخاصة التي وردت في سور الحواميم:

أولاً: مقصد سورة غافر

تحدثت سورة غافر عن الجاحدين والمجادلين بآيات الله تعالى، ومصيرهم، وبينت كذلك مصير من آمن بالله تعالى ورسله في الدنيا والآخرة³.

وسورة غافر من بدايتها حتى نهايتها تبدو وكأنها مطارق تقع على قلب الإنسان، وتؤثر فيه بعنف، وهي تعرض مشاهد يوم القيامة، ومصير المعاندين والجاحدين لآيات الله تعالى، وأحياناً أخرى تمس هذا القلب برفق، وهي تعرض حملة العرش ومن حوله، يدعون ربهم ليتكرم على عباده المؤمنين⁴.

¹ - ينظر: الخادمي، نور الدين بن مختار، علم المقاصد الشرعية، مكتبة العبيكان، (ط1\1421هـ)، (72)

² - حامدي، عبد الكريم، مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، (51).

³ - ينظر البقاعي، مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (435\2).

⁴ - ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3576).

وبعد أن ذكرت الآيات السابقة جحود وجدال الكافرين بآيات الله، جاء قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ غافر: 21، ليلفت أنظار الكافرين إلى مصير الأمم السابقة، الذين كانوا أكثر منهم قوة، لكن الله تعالى أهلكهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم.

ثم ضرب لهم سبحانه وتعالى مثلاً من الأمم السابقة التي جادلت بآيات الله تعالى، وهو جدال فرعون لموسى عليه السلام، وجدال مؤمن آل فرعون لفرعون، ثم تتابعت الآيات لتعرض قصصهم بأسلوب الجدال المقنع، إلا أنهم لم يستجيبوا، ولم يؤمنوا بالله تعالى، فبينت الآيات جزاءهم في الدنيا والآخرة.

ويبدو الارتباط واضحاً بين الآيات السابقة وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَتُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾ غافر: 47، حيث تُبين لنا الآيات العتاب الذي يحصل بين الأتباع والمتبوعين في نار جهنم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لَذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ غافر: 55، بعد أن أمر الله تعالى الرسول ﷺ أن يصبر على الذين يجادلون بآيات الله تعالى، جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ غافر: 65، ليكشف لرسول الله (ﷺ) أن جحود وجدال الكافرين بآيات الله تعالى، كان بدون حجة أو برهان أو دليل، بل كان بسبب كبر في صدورهم، ثم أكدت الآيات على وجود يوم البعث وأن الله تعالى سوف يحاسبهم على أعمالهم، وهذا يرتبط مع قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ غافر: 58، لتبين الآيات أن هناك فرقاً بين الذي يجادل ومعه أدلة وبراهين، والجاهل الذي يقلد آباءه وأجداده ويجادل دون سلطان.

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَقَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ غافر: 76-86، وبعد أن ذكر سبحانه وتعالى بعض نِعَمه على عباده وأنه قادر على إحياء الموتى، ناسب أن يبين مصير من جادل بآيات الله تعالى، وكفر بهذه الدلائل على وحدانية الله تعالى بأن لهم عذاب جهنم خالدين فيها.

بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن مصير الكافرين المعاندين، ثم تسليية نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) بأن يصبر على الكافرين؛ لأن كفرهم وجدالهم مثل الأمم السابقة، وناسب بعد ذلك أن يذكر دلائل وحدانية الله تعالى ونِعَمه على عباده، وأن من كفر وأنكر هذه الدلائل فله عذاب أليم، ويجب عليهم أن يأخذوا العبرة من مصير الأمم السابقة كانوا أكثر منهم وأشد قوة، لكن الله تعالى أهلكهم بذنوبهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءِثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ غافر: 82.

وختمت سورة غافر بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨١﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ غافر: 48-58، فهذه الخاتمة تتناسب مع مطلع السورة، فما جاء في بداية السورة تحقّق في نهايتها، أي بعد أن ذكر في بداية السورة بأن الله تعالى هو صاحب العزة والعلم، يغفر الذنوب لمن تاب من عباده، وأنه شديد العقاب لمن كفر وأنكر آياته، جاء في ختام السورة التنكير بأن الله تعالى شديد العقاب، ولا تنفع التوبة بعد نزول العذاب على الكافرين.

ثانياً: مقصد سورة فصلت

لقد تعددت موضوعات سورة فصلت، إلا أنها تدور حول مقصد واحد وهو إثبات وحدانية الله تعالى، وإثبات البعث بعد الموت، وذكر الأدلة والآيات التي تدل على ذلك، والتحذير من تكذيبها¹.

تحدثت سورة فصلت في البداية عن مصدريّة القرآن الكريم وأنه منزل من عند الله تعالى، ثم ناسب بعد ذلك الثناء على القرآن الكريم بأنه مفصل، ومبين، وأن الله تعالى قد أنزله باللغة الفصحى وهي أكمل اللغات، ثم قال تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِيْ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِيْ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَا هٰذَا: 5﴾، تبين هذه الآية موقف المشركين واستكبارهم على الإيمان بالله تعالى وكتابه، وتبدو العلاقة واضحة بين هذه الآية وما قبلها، فعلى الرغم من أن القرآن جاء مفصلاً ومبيناً، إلا أنهم استبدلوا الكفر بالإيمان، وباعوا الآخرة بالدنيا، ويعقب هذا الحديث بيان صفات الذين يتخذون إلهاً دون الله تعالى وجزائهم، فهم دنسوا أنفسهم، فلا يزكوها بتوحيد ربهم؛ لأنهم لا يخلصون بالتوحيد والصلاة للخالق، ولا يؤمنون بالبعث، ولا بالجنة والنار، وبيان صفات المؤمنين، وجزائهم يوم القيامة بأن لهم أجراً غير ممنون.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَكَفُرُونَ بِأَلَدِيْ خَلَقَ الْأَرْضَ فِيْ يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٩﴾ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيامٍ سواءٍ للسَّالِينَ ﴿١٠﴾ هـ: 9-31، ثم تمضي الآيات الكريمة لتكشف عن شناعة الجرم الذي يرتكبه الكافرون بالشرك والكفر، وتمضي بهم في المجال الكوني العريض، مجال السماوات والأرض، والكون الذي هم بالقياس إليه شيء ضئيل هزيل، وتمضي بهم في هذا المجال لتكشف لهم عن سلطان الله تعالى الذي يكفرون به في فطرة هذا الكون الذي هم جزء منه، ثم لتخرجهم من الزاوية الضيقة الصغيرة التي ينظرون منها إلى هذه الدعوة، حيث يرون أنفسهم وذواتهم كبيرة، ويشغلهم النظر إليها وإلى اختيار محمد (صلى الله عليه وسلم) من دونهم، والحرص على مكانتهم ومصالحهم، وهذا كله يشغلهم عن النظر إلى الحقيقة الضخمة التي جاءهم بها محمد (صلى الله عليه وسلم)، وفصلها هذا

¹ - ينظر: البقاعي، مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (443/2).

القرآن، تتصل بالبشرية كلها في جميع أعصارها، وتتصل بالحق الكبير الذي يتجاوز زمانهم ومكانهم وشخصهم، وتتصل بالكون كله¹.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ **هـ: 41-81**، هناك علاقة واضحة الصلة بين هذه الآيات والآيات السابقة، بعد ذكر هذه الجولة الكونية الهائلة، يبقى السؤال ما هو جزاء من يكفر بالله تعالى في تبجح وإستهتار؟ هو أن الله تعالى أنذرهم صاعقة مثل صاعقة قوم عاد وثمود، فأرسل عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون، وهذا الإنذار الرهيب المخيف يناسب شناعة الجرم وقبح الذنب، وتبجح المشركين الذي حُكي في مطلع السورة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ **هـ: 91-24**، بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن سلطان الله تعالى في فطرة الكون، وسلطانه في تاريخ البشر، يعقب هذا الحديث بيان سلطان الله تعالى في ذوات أنفس البشر، التي لا يملكون منها شيئاً، ولا يعصمون منها شيئاً من سلطان الله، فحتى سمعهم وأبصارهم وجلودهم تطيع الله وتعصيه في الموقف المشهود، وتكون عليهم شهود، ومن ثم يكشف لهم عن سلطان الله تعالى في قلوبهم، وهم بعد في الأرض، قال تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ **هـ: 52-92**، فالله تعالى قبيض لهم قرناء سوء من الجن والإنس، يزينون لهم الدنيا في قلوبهم، ويدعوهم إلى لذاتها وشهواتها المحرمة، وينتهون بهم إلى مواكب الذين حققت عليهم كلمة العذاب، والخسران في الدنيا والآخرة².

¹ - ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3632).

² - ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3640-3646).

ثم تتبع الآيات الكريمة أسلوب المقارنة، فبعد الحديث عن صلة الوسوسة والإغراء للمشركين، يعقب هذا الحديث عن صلة النصح والولاء للمؤمنين الذين قالوا: ﴿إِنَّ الْذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ **هـ: 23-03**، إن الله تعالى لا يقيض للمؤمنين قراء سوء من الجن والإنس، وإنما يكلف بهم ملائكة يفيضون على قلوبهم الأمن والطمأنينة، ويبشرونهم بالجنة، ويكونون لهم أولياء في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ **هـ: 63-33**، بعد ما تحدث في بداية هذه السورة عن جفوة المدعوين وسوء أدبهم، وتبجحهم النكير، جاءت هذه الآيات لترسم صورة الداعية إلى الله تعالى، ووصف روحه ولفظه، وحديثه وأدبه، ويوجه الله تعالى إليها رسوله (صلی الله علیه وسلم)، وتكون منهجاً لكل داعية إلى الله تعالى مهما كانت الأمور. ثم تسرد الآيات الكريمة صفات الداعية إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ **هـ: 33**، أي لا أحد أحسن قولاً ممن دعا إلى عبادة الله تعالى، ثم جاء قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ **فصلت: 34**، لوعظ الله تعالى نبيه محمد (صلی الله علیه وسلم) ونبيه على أحسن مخاطبة، فقرر أن الحسنة والسيئة لا تستوي، أي فالحسنة أفضل، وكرر جملة: (ولا السيئة) تأكيداً ليدل على أن المراد: ولا تستوي الحسنة والسيئة ولا السيئة والحسنة، فحذف اختصاراً. وقوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ **٢١** وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ **فصلت: 34-35**، أي ادفع أمورك وما يعرضك مع الناس ومخالطتك لهم بالفعل أو بالسيرة التي هي أحسن السير والفعلات، فمن ذلك بذل السلام، وحسن الأدب، وكظم الغيظ، والسماحة في القضاء والاقتضاء وغير ذلك. فإذا فعل المؤمن هذه الفضائل عصمه الله تعالى من الشيطان وخضع له عدوه، ومن صبر عن الشهوات فهو جامع لخصال الخير كلها¹.

¹ ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (16/5).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا
لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٧٧﴾ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا
فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٧٨﴾﴾: 73-93، تعرض
هذه الآيات الكريمة شوط جديد في مجال الدعوة، يبدأ بجولة مع آيات الله الكونية: الليل والنهار
والشمس والقمر، وفي المشركين من كان يسجد للشمس والقمر مع الله تعالى، وهم من خلقه،
ويعقب على عرض هذه الآيات الكونية بأنهم إن استكبروا عن عبادة الله فهناك من هم أقرب منهم
إلى الله يعبدونه، ثم هناك الأرض كلها في مقام العبادة وهي تتلقى من ربها الحياة، كما تلقوها فلم
يتحركوا بها إلى الله.

بعد عرض مشهد الآيات الكونية ذات الأثر الشعوري العميق، جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّ
الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ
أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٩﴾﴾: 04، لتتدبر وتهديد من يلحدون ويكفرون في هذه
الآيات الكونية الظاهرة الباهرة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالدِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٨١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ
بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٨٢﴾﴾: 14-34، ثم تستطرد الآيات الكريمة
للحديث عن الذين يجادلون ويكفرون بآيات الله القرآنية، عقب الحديث عن جدال الكافرين في آيات
الله الكونية، بينت الآيات أن القرآن كتاب عزيز قوي منيع، لا يدخل عليه الباطل من قريب ولا من
بعيد، وغير مشوب بأعجمية، ثم يربط السياق بين القرآن وسائر الوحي قبله، وبين رسول الله
(ﷺ) وسائر الرسل قبله، ويجمع أسرة النبوة كلها في ندوة واحدة تتلى من ربها حديثاً واحداً،
ترتبط به أرواحها وقلوبها، وتتصل به طريقها ودعوتها.

ثم تحدثت الآيات الكريمة عن جدال الكافرين حول شكل القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ
جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُضِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى
وَشَفَاءٌ وَلِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًّى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ
بَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾: 44-94، والحقيقة التي تخلص من وراء هذا الجدال، وهو أن هذا الكتاب هدى

للمؤمنين وشفاء، فقلوب المؤمنين هي التي تدرك طبيعته وحقيقته، فتتهدي به، فأما الذين لا يؤمنون فقلوبهم مطموسة لا تخالطها بشاشة هذا الكتاب، هو وقر في آذانهم، وعمى في قلوبهم. ثم ناسب بعد ذلك ذكر نموذجاً من الرسل الذين ورد ذكرهم من قبل، وهو موسى عليه السلام وكتابه واختلاف قومه في هذا الكتاب¹.

ثم تعرض الآيات الكريمة مشهد من مشاهد يوم القيامة، لتصور شمول علم الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا ءَاذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾ 74-84، لتخبر عن سعة علم الله تعالى واختصاصه بالعلم الذي لا يطلع عليه سواه، ثم جاء قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمُرُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَسْأَلْ قَنُوطًا ۖ وَلَئِنْ أَدْفَنَهُ رَحْمَةٌ مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي ۖ﴾ 94-25، لتنتقل الآيات الكريمة لتخبر عن طبيعة الانسان، وعدم صبره لا على الخير ولا على الشر، فهو لا يمل من دعاء الله تعالى، فلو حصل له من الدنيا، ما حصل، لم يزل طالباً للزيادة، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فإنهم إذا أصابهم الخير والنعمة شكروا الله تعالى، وإن أصابتهم مصيبة، صبروا، والإنسان الذي يسأم من دعاء الخير، إذا مسه الخير بعد ضراء، فإنه لا يشكر الله تعالى، بل يبغي، ويطغي، وينكر وجود يوم البعث².

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۖ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۖ﴾ ٥٣ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيتٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ؕ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ۖ﴾ 35-45، ثم ناسب أن يختم هذه السورة بوعد الله تعالى أن يكشف للناس عن آياته في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، ويذهب ما في قلوبهم من ريب وشك³.

¹ ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3647-3649).

² ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (744\1-752).

³ قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3650).

ثالثاً: مقصد سورة الشورى

بعد ما تحدثت سورة غافر وسورة فصلت عن جدال الكافرين، وشبهاتهم، وجاءت سورة الشورى لتعرض حقيقة الوحي والرسالة¹.

"يسير سياق سورة الشورى في عرض حقيقة الوحي والرسالة، وما يصاحبها من موضوعات أخرى بطريقة تدعو إلى مزيد من التدبر والملاحظة، فهي تعرض من جوانب متعددة، يفترق بعضها عن بعض بوضع آيات تتحدث عن وحدانية الخالق، أو وحدانية الرازق، أو وحدانية المتصرف في القلوب، أو وحدانية المتصرف في المصير، بينما يتجه الحديث عن حقيقة الوحي والرسالة إلى تقرير وحدانية الموحى سبحانه وتعالى، ووحدة الوحي، ووحدة العقيدة، ووحدة المنهج والطريق، أخيراً وحدة القيادة البشرية في ظل العقيدة. ومن ثم يرسم في النفس خط الوجدانية بارزاً واضحاً، بشتى معانيه وشتى ظلاله وشتى إحياءاته"².

تبدأ سورة الشورى بالأحرف المقطعة -حم عسق- ثم يليها قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الشورى: 3، ليخبر بأن الله تعالى أوحى هذا القرآن العظيم الى النبي محمد (ﷺ)، كما أوحى إلى الأنبياء والمرسلين من قبله، وفي هذا إقرار بوحدة مصدرية الوحي في الأولين والآخرين، ثم يأتي الإقرار بوحداية ملكه لما في السماوات والارض واستعلاءه وعظمته سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ الشورى: 4، "أي من كان ما في السماوات وما في الأرض ملكاً له تتحقق له العزة لقوة ملكوته، وتتحقق له الحكمة؛ لأن الحكمة تقتضي خلق ما في السماوات والأرض، وفي هذا الآيات تأكيد ودلالة على أن الوحي والكتاب من عند الله سبحانه وتعالى"³.

ثم يستطرد السياق في وصف حال الكون تجاه قضية الإيمان بالمالك الواحد وتجاه الشرك الذي يشذ به بعض الناس، قَالَ تَعَالَى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ

¹ - ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3663).

² - ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3663).

³ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، (28\25).

يَحْمَدُ رَبَّهُمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ الشورى: 5-6، تعرض هذه الآيات مظهراً لخلوص الملكية لله تعالى، وعلوه سبحانه وتعالى وعظمته، يتمثل في حركة السماوات التي تكاد تنفطر من عظمة من فوقها وهو الله تعالى، كما يتمثل في حركة الملائكة وثقلهم، وكثرة تسبيحهم واستغفارهم لأهل الأرض¹.

ثم تعود الآيات الكريمة إلى الحقيقة الأولى وهي حقيقة الوحي، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ الشورى: 7-10، يعطف هذا الطرف من حقيقة الوحي على ذلك الطرف الذي بدأ به السورة، والمناسبة هنا بين تلك الأحرف المقطعة، وعربية القرآن، مناسبة ظاهرة، فهذه أحرفهم العربية، وهذا قرآنهم العربي، نزل الله به وحيه في هذه الصورة العربية، ليؤدي به الغاية المرسومة، وهي إنذار أم القرى ومن حولها، ومن ثم بيان الجهة التي يرجع إليها المؤمنون عند كل اختلاف، وهي هذا الوحي الذي جاء من عند الله يتضمن حكم الله كي لا يكون للهوى المنقلب أثر في الحياة بعد ذلك المنهج الإلهي القويم².

ثم يعقب على هذه الحقيقة ليزيدها استقراراً وتمكيناً قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُكُمْ فِيهِ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ الشورى: 11-21، أي إن الله تعالى منزل القرآن لكون حكمه الفصل فيما يختلفون فيه من شيء، فهو مدبر السماوات والأرض، ويجب أن يرجعوا إلى حكم الله تعالى، فهو خالقهم الذي سوى نفوسهم وركبها، هو رازقهم وكافلهم ومطعمهم وساقئهم، فلمن غير الله تعالى يتجهون إذن ليحكم بينهم فيما يختلفون فيه³.

¹ - ينظر: القشيري، لطائف الإشارات، (342/3).

² - قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3670).

³ - ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3676).

قَالَ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ الشورى: 31-61، بعد أن جاء في مطلع السورة إشارة إجمالية إلى وحدة المصدر، ووحدة المنهج، ووحدة الاتجاه، جاءت هذه الآيات لتفصل هذه الإشارة، وتقرر أن ما شرعه الله تعالى للمسلمين هو ما وصى به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وهو أن يقيموا دين الله الواحد ولا يتفرقوا فيه، ويرتب عليها نتائجها من وجوب الثبات على المنهج الإلهي القديم، دون التقات إلى أهواء المختلفين، ومن هيمنة هذا الدين الواضح المستقيم، ودحض حجة الذين يحتاجون في الله، وإنذارهم بالغضب والعذاب الشديد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۝۱۷ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلاَ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝۱۸ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ الشورى: 71-91، يستطرد السياق إلى بيان أن الله تعالى أنزل الكتاب بالحق وأنزل العدل، وجعله حكماً فيما يختلف فيه أصحاب العقائد السالفة، وفيما تختلف فيه آراء الناس وأهواؤهم، وأقام شرائعه على العدل في الحكم، العدل الدقيق كأنه الميزان توزن به القيم، وتوزن به الحقوق، وتوزن به الأعمال والتصرفات، وثم ينتقل السياق من حقيقة الكتاب المنزل بالحق والعدل، إلى ذكر الساعة، والمناسبة بين هذا وهذه حاضرة، فالساعة هي موعد الحكم والقول الفصل، والساعة غيب، فمن ذا يدري إن كانت على وشك، ثم تصور الآيات موقف المؤمنين وغير المؤمنين من الساعة، فالذين لا يؤمنون بالساعة لا تحس قلوبهم هولها، فلا عجب يستعجلون بها مستهترين؛ لأنهم محبوبون لا يدركون، وأما الذين آمنوا فهم مستيقنون منها، ومن ثم هم يشفقون ويخافون، وينتظرونها بوجل وخشية، لأنهم يعلمون أنها الحق.

ثم تنتقل الآيات من الحديث عن الآخرة والإشفاق منها أو الاستهتار بها، إلى الحديث عن الرزق الذي يتفضل الله تعالى به على عباده، وتبدو المناسبة بعيدة في ظاهر الأمر بين هذه الحقيقة وتلك، ولكن الصلة تبدو وثيقة عند قراءة الآية التالية: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ

نَزِدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿الشورى: 02﴾، فالله لطيف بعباده يرزق من يشاء، يرزق الصالح والطالح، والمؤمن والكافر، ثم جعل الآخرة حرثاً والدنيا حرثاً يختار المرء منهما ما يشاء، فمن كان يريد حرث الآخرة عمل فيه، وزاد له الله في حرثه، ومن كان يريد حرث الدنيا أعطاه الله رزقه المكتوب له لا يحرم منه شيئاً، ولكن لم يكن له في الآخرة نصيب.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْرٌ لَهُمْ شُرَكَائُهُمْ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿الشورى: 12-32﴾، بعد ما قرر في الآيات السابقة أن ما شرعه الله تعالى للأمة المسلمة هو ما وصى به نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وهو ما أوحى به إلى محمد (صلى الله عليه وسلم)، جاء في هذه الآيات يتساءل في استنكار عما هم فيه وما هم عليه، من الذي شرعه لهم ما دام الله لم يشرعه؟ وهو مخالف لما شرعه منذ أن كان هناك رسالات وتشريعات؟ وليس لأحد من خلق الله أن يشرع غير ما شرعه الله تعالى، فالله تعالى وحده هو المدبر لهذا الكون، ثم تعرض الآيات الكريمة مشهد من مشاهد يوم القيامة، تصور فيه حال المؤمنين والكافرين في ذلك اليوم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿الشورى: 42﴾، تعود الآية الكريمة للحديث عن الحقيقة الأولى وهي حقيقة الوحي والرسالة وتبين هنا شبهة الكافرين حول هذه الحقيقة ونكرانهم لها، ثم يأتي الرد على هذه الشبهة، أن الله تعالى لا يدع أحداً يدعي أن الله أوحى إليه، وهو لم يوح إليه شيئاً، وهو قادر على أن يختم على قلبه، وأن يكشف الباطل الذي جاء به، وأن يظهر الحق من ورائه وينبته، فهي شبهة لا قوام لها¹.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ؕ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ ﴿الشورى: 52-62﴾، بعد ما عرضت الآيات السابقة مشهد الكافرين مشفقين مما كسبوا،

¹ ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3680-3687).

ومشهد الذين آمنوا في روضات الجنات، ونفي كل شبهة عن صدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فيما بلغهم به عن الله، ثم ناسب أن تأتي هذه الآيات لترغيب من يريد التوبة والرجوع عما هو فيه من ضلالة، ولإعلام الذين كانوا يحاجون الله ورسوله أن الله تعالى من شأنه قبول توبة من يتوب من عباده، ويعفو عنهم، وهو أيضا بشارا للمؤمنين بأن الله تعالى قبل توبتهم مما كانوا فيه من الشرك والجاهلية، لأن الذي يقبل التوبة في المستقبل يكون قد قبل توبة التائبين من قبل¹، ثم تعود الآيات الكريمة لتبين جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات يستجيبون لدعوة ربهم، وهو يزيدهم من فضله، والكافرون لهم عذاب شديد، وباب التوبة مفتوح للنجاة من العذاب الشديد، وفضل الله تعالى في الآخرة بلا حدود ولا قيود. فهذا فضل من الله تعالى على عباده في الآخرة، ثم تتبعت الآيات بذكر الدلائل الدالة على فضل الله تعالى على عباده في الأرض، فهو مقيد ومحدد، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ الشورى: 72، لأن هؤلاء البشر لا يطيقون الغنى إلا بقدر، وأنه لو بسط لهم في الرزق من نوع ما يبسط في الآخرة لبغوا وطمعوا؛ لأنهم ضعفاء، والله بعباده خبير بصير.

ثم ناسب بعد ذلك أن تذكر الآيات الكريمة جانب من فضل الله تعالى على عباده في الأرض والكون، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٨) وَمَنْ أَيْتِيهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ الشورى: 82-92، ومن ثم تلفت الآيات الكريمة في قوله تعالى: ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الشورى: 63-34، أنظار العباد إلى أن كل ما أتوه في هذه الأرض متاع موقوت في هذه الحياة الدنيا، وأن القيمة الباقية هي التي يدخرها الله في الآخرة للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، ثم تبدأ الآيات ببيان صفة المؤمنين الذين يدخر الله لهم ما هو خير وأبقى².

¹ - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (88125).

² - ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3692-3693).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ الشورى: 44-74، بعد تقرير صفة المؤمنين الذين يدخر الله تعالى لهم عنده ما هو خير وأبقى، ناسب أن يعرض صورة الظالمين الضالين، وما ينتظرهم من نذل وخسران، وفي ظل هذا المشهد يوجه الله تعالى الخطاب إلى المعاندين المكابرين، ليستجيبوا لربهم قبل أن يفجأهم مثل هذا المصير فلا يجدوا لهم ملجأ يقيهم، ولا نصيراً ينكر مصيرهم الأليم، ويوجه الرسول (ﷺ) إلى التخلي عنهم إذا هم أعرضوا فلم يستجيبوا لهذا النذير، فما عليه إلا البلاغ، وما هو مكلف بهم ولا كفيل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّحَ بِهَا وَإِنْ تَصِبَّهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ (٤٨) اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِثَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾ الشورى: 84-05، يعقب على ما سبق بأن نصيب هذا الإنسان من السراء والضراء ومن العطاء والحرمان كله بيد الله، فما لهذا الإنسان المحب للخير والجزوع من الشر، يبعد عن الله المالك لأمره في جميع الأحوال، والذرية مظهر من مظاهر المنح والمنع والعطاء والحرمان، وقد سبق في السورة حديث عن الرزق بسطه وقبضه، فهذه تكملة في الرزق بالذرية، وهي رزق من عن الله تعالى كالمال.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ الشورى: 15-35، وفي ختام السورة يعود السياق إلى الحقيقة الأولى التي تدور عليها السورة، حقيقة الوحي والرسالة، ويعود إلى هذه الحقيقة ليكشف عن طبيعة هذا الاتصال بين الله تعالى والمختارين من عباده، وفي أية صورة يكون، ويؤكد أنه قد وقع فعلاً إلى الرسول محمد (ﷺ) لغاية يريد بها الله سبحانه، ليهدي من يشاء إلى صراط مستقيم¹.

¹ ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3700-3706).

رابعاً: مقصد سورة الزخرف

بعد ما تحدثت السور السابقة (غافر، فصلت، الشورى) عن الجاحدين والمجادلين بآيات الله تعالى، وذكر شبهاتهم حول وحدانية الله سبحانه وتعالى وشخص سيدنا محمد (ﷺ) وإبطال هذه الشبهات وردّها، جاءت سورة الزخرف لتثبت أن جحودهم وإنكارهم لم يكن قائماً على دليل قاطع، بل كان بسبب اغترارهم بأنفسهم، بدليل أنهم كانوا يقولون بأن الله تعالى هو الذي خلق السماوات والأرض وينكرون وحدانيته ويتخذون معه شريك في العبادة ويقولون هذا ما وجدنا عليه آبائنا.

لقد افتتحت سورة الزخرف بالقسم بالقرآن الكريم، وإذا أقسم الله تعالى بشيء فهذا يدل على عظمته، ثم ذكرت الآيات بعض صفات القرآن الكريم، بأنه نزل بلغة العرب، فهو من أفصح اللغات، وأوضحها، وأبينها، وأنه من أفضل الكتب فهو عليّ في قدره وشرفه، ثم ناسب بعد ذلك ذكر قوله تعالى: ﴿أَفَضَّرَبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ الزخرف 5-6، لتكشف لهم عن مدى الإسراف القبيح في إعراضهم عن القرآن الكريم على الرغم من أنه نزل بلسان العرب، ومن ثم يهددهم بالتترك والإهمال جزاء هذا الإسراف، وإلى جانب هذا التهديد يذكرهم بسنة الله تعالى في المكذبين بعد إرسال النبيين. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ٧ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ الزخرف 7-8، أي كانوا يستهزئون بهم جداً وتكبّراً على الحق، ولكن الله تعالى أهلكهم في الدنيا وجعل أخبارهم عبرة لمن كذب وأنكر وحدانية الله تعالى.

على الرغم من انكار المشركين لوحداية الله تعالى إلا أنهم يقولون بأن الله تعالى وحده هو الذي خلق السماوات والأرض، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ الزخرف 1-31، القرآن هنا يعلمهم أن الله تعالى، الذي يعترفون بأنه خالق السماوات والأرض فهو القوي القادر، وهو العليم العارف، ثم يمضي السياق في تعريف الله سبحانه بصفاته، وفي بيان فضله على المشركين بعد الخلق والإنشاء، فهو الذي خلق الأرض لعباده ومهدا لهم، وأنزل عليهم من السماء ماءً بقدر معلوم لا زيادة فيه ولا نقصان، وجعل لهم

فيها الفلك والأنعام، ولولا أن سخر الله تعالى لهم من الفلك والأنعام، ما كانوا مطيقين لذلك وقادرين عليه، ولكن من لطف الله تعالى وكرمه، أن سخرها وذلّلها لهم، والله تعالى هو الذي أنعم على عباده بكل هذه النعم، فهو وحده الذي يستحق العبادة¹.

ثم ناسب بعد ذلك أن يعالج السياق أسطورة الملائكة واتخاذهم آلهة بزعم أنهم بنات الله، وهم عباد الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ (١٥) أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَكَم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ زخرف 51-81، يحاجهم الله تعالى بمنطقهم وعرفهم، ويسخر من سخف دعواهم أن الملائكة إناث ثم نسبتهن إلى الله، فإذا كان الله تعالى متخذاً أبناء، فما له يتخذ البنات ويصطفيهن بالبنين، وهل يليق أن يزعموا هذا الزعم بينما هم يستنكفون من ولادة البنات لهم، ثم يحاصرهم وأسطورتهم من ناحية أخرى، فهم يدعون أن الملائكة إناث، فعلام يقيمون هذا الإدعاء؟ فهم لم يشهدوا خلق الله تعالى لملائكته، فكيف يتكلمون بأمر ليس لهم به علم، فالرؤية حجة ودليل يليق بصاحب الدعوى أن يرتكن إليه، وعندما تهافتت بين أيديهم هذه الأسطورة، وحاصرتهم الحجج، فإنهم يحاولون التهرب فيحيلون على مشيئة الله تعالى، ويزعمون أن الله تعالى راض عن عبادتهم للملائكة²، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (١٦) زخرف 02-32، فهذه الحجة باطلة في نفسها عقلاً وشرعاً، فكل عاقل لا يقبل الاحتجاج بالقدر، أما شرعاً، فإن الله تعالى أبطل الاحتجاج به³.

قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (١٦) زخرف 22، تكشف الآيات الكريمة عن سندهم الوحيد في اعتقاد هذه الأسطورة المتهافته التي لا تقوم على رؤية، ومزولة هذه العبادة الباطلة التي لا تستند إلى كتاب، ثم تعرض مصائر الذين قالوا قولتهم تلك واتبعوا طريقهم في المحاكاة والتقليد، وفي الإعراض والتكذيب، بعد الإصرار على ما هم فيه على الرغم من الإعذار والبيان. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ

¹ - ينظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (762\1-763).

² - ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3718).

³ - ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (648\27).

مُقْتَدُونَ ﴿٣٢﴾ زخرف 32-52، وهكذا يتجلى أن طبيعة المعرضين عن الهدى وحجتهم واحدة، ثم يغلق الله تعالى قلوبهم على هذه المحاكاة، وتطمس عقولهم دون التدبر لأي جديد، ولو كان يصدع بالدليل، ثم لا يكون إلا التدمير والتتكيل لهذه الجبلية التي لا تريد أن تفتح عينها لترى، أو تفتح قلبها لتحس، وهذا هو مصير ذلك الصنف من الناس يعرضه عليهم لعلمهم يتبينون عاقبة الطريق الذي يسلكون¹.

ناسب بعد ذلك أن يضرب الله تعالى لهم مثل ابراهيم عليه السلام مع قومه، ليعرضوا عليها دعواهم التي يدعون، ثم يحكي اعتراض المشركين على رسالة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُلْحِيًّا وَرَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ زخرف 13-53، تناقش الآيات الكريمة قولتهم هذه، وما تتطوي عليه من خطأ في تقدير القيم الأصلية التي أقام الله عليها الحياة، والقيم الزائفة التي تخايل لهم وتصدهم عن الحق والهدى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ الزخرف: 63-44، وعقب تقرير الحقيقة في هذه القضية يطلعهم على عاقبة المعرضين عن ذكر الله تعالى، بعد أن يطلعهم على علة هذا العمى وهو من وسوسة الشيطان، ثم يلتفت السياق إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) يسليه ويواسيه عن إعراضهم وعماهم، فما هو بهادي العمى أو مسمع الصم، وسيلقون جزاءهم سواء شهد انتقام الله منهم، أو أخره الله تعالى عنهم، ثم يوجه الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الإستمساك بما أوحى إليه فإنه الحق، الذي جاء به الرسل أجمعون، فكلهم جاءوا بكلمة التوحيد، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَعَلَ مَن أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُّعْبَدُونَ﴾ زخرف 54.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ زخرف 64-65، في سياق تسلية

¹ - ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3722).

الرسول (صلى الله عليه وسلم) عما يعرض به المعترضون من كبراء قومه على اختياره، واعتزازهم بالقيم الباطلة لعرض هذه الحياة الدنيا، تجيء هذه الحلقة من قصة موسى عليه السلام مع فرعون وملئه، تمثل هذا الواقع من العرب مع رسولهم، وكأنما هي نسخة مكررة تحوي ذات الاعتراضات التي يعترضونها، وتحكي اعتزاز فرعون وملئه بذات القيم التي يعتز بها المشركون، فعلى الرغم من غنى فرعون وجبروته إلا أن الله تعالى جعله من الهالكين، ولتبين أن الله تعالى لم يبعث رسله إلا من أجل إعلاء كلمة التوحيد، وبيان مصير من كفر وجحد بآيات الله تعالى، وفي هذه القصة العبرة والموعظة لكل من تكبر وتجبر.

ينتقل السياق من هذه الحلقة في قصة موسى، إلى حلقة قصة عيسى عليهم السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۖ وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ ٥٦ زخرف 56-75، يستطرد السياق إلى حكاية أساطيرهم حول عبادة الملائكة، ويحكي حادثاً من حوادث الجدل الذي كانوا يزاولونه، وهم يدافعون عن عقائدهم الواهية، لا بقصد الوصول إلى الحق، ولكن مراء ومحالا، فلما قيل لهم: إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم، وكان القصد هو أصنامهم التي جعلوها تماثيل للملائكة ثم عبدوها بذاتها، وقيل لهم إن كل عابد وما يعبد من دون الله في النار، لما قيل لهم هذا ضرب بعضهم المثل بعيسى بن مريم، وقد عبده المنحرفون من قومه، إهو في النار؟ وكان هذا مجرد جدل ومجرد مراء، ثم قالوا: إذا كان أهل الكتاب يعبدون عيسى وهو بشر فنحن أهدى إذ نعبد الملائكة وهم بنات الله، وكان هذا باطلاً يقوم على باطل، وبهذه المناسبة يذكر السياق طرفاً من قصة عيسى بن مريم عليه السلام، ويكشف عن حقيقته وحقيقة دعوته، واختلاف قومه من قبله ومن بعده.

قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٥٧ زخرف 66-77، ويعقب على هذا الحديث تهديد المنحرفين بمجيء الساعة بغتة، ومن ثم تعرض الآيات مشهد من مشاهد يوم القيامة، يتضمن صفحة من النعيم للمتقين، وصفحة من العذاب الأليم للمجرمين، الذين يحاربون الحق لا يجهلون في الغالب أنه الحق، ولكنهم يكرهونه، لأنه يصادم أهواءهم.

يستطرد السياق إلى تنزيه الله تعالى عما يصفونه وينسبون له من الشريك والظهير، والمعين، والولد، وغير ذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ﴾ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ زخرف 18-38، لقد كانوا يعبدون الملائكة بزعم أنهم بنات الله، ولو كان لله ولد لكان أحق أحد بعبادته، وبعرفة ذلك نبي الله ورسوله، فهو منه قريب، وهو أسرع إلى طاعة الله وعبادته، وتوقير ولده إن كان له ولد كما يزعمون، ولأنه لا يعبد إلا الله، فهذا في ذاته دليل على أن ما يزعمونه من بنوة أحد لله لا أصل له، ولا سند ولا دليل، وتنزيه الله تعالى من هذا الزعم. ثم ناسب بعد ذلك أن يعرض لعباده بعض صفاته وملكيته المطلقة للسماء والأرض والدنيا والآخرة. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٨٣) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٤﴾ زخرف 48-78.

وناسب أن يختتم هذه السورة بقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَرْبِّ إِنَّا هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٨٥) فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ زخرف 88-98، توجيه الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى الصّفا والإعراض، وعدم الاحتفال والمبالاة، والشعور بالطمأنينة، ومواجهة الأمر بالسلام في القلب والسماحة والرضاء، وذلك مع التحذير الملفوف للمعرضين المعاندين، مما ينتظرهم يوم القيامة، وهذا التهديد يليق بالمجادلين المرائين بعد هذا الإيضاح والتبيين¹.

¹ ينظر: قطب، سيد، في ظلال القرآن، (3738-3750).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الذي أكمل لنا الدين، وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على النعمة المهداة، والذرة المجتابة، والسراج المنير، سيدنا وأسوتنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن سار على دربه إلى يوم الدين، أما بعد.

الحمد كله لله وحده، الذي منّ عليّ، فوفقني للوصول إلى خاتمة هذه الرسالة، التي زادتني شرفاً، لأنني قمت من خلالها بالبحث في موضوع متعلق بالقرآن الكريم، أشرف كتاب عرفته البشرية، كلام رب العالمين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

والموضوع الذي تناولته في هذه الرسالة هو العلاقة بين المناسبات ومقاصد القرآن في سور الحواميم، وقد قمت بهذا الجهد المتواضع قاصداً رضى الله تعالى، حيث بينتُ أن معرفة علم المناسبات في القرآن الكريم من العلوم المطلوبة التي تعين على الفهم الصحيح لكتاب الله عز وجل، لذا يجب على المفسر أن يعتني بالمناسبات عناية بالغة حتى يدرك انسجام وترابط القرآن مع بعضه البعض ومن خلال هذا الترابط يتم الكشف عن مقاصد القرآن.

ومن خلال البحث في العلاقة بين المناسبات ومقاصد القرآن في سور الحواميم، توصلت لمجموعة من النتائج والتوصيات، أهمها:

أولاً: النتائج

1. لقد أبرز علم المناسبة في القرآن الكريم وجه التوافق، وقوة الاتصال والارتباط، بين أجزاء القرآن الكريم، فهي وحدة واحدة، متصل بعضها ببعض، على وجه يبرز الإعجاز في ترتيب آيات وسور القرآن الكريم.

2. لقد أبرزت هذه الرسالة العلاقة الوطيدة بين علم المناسبات وعلم مقاصد القرآن، حيث يتم الكشف عن مقاصد القرآن من خلال معرفة المناسبة وربط الآيات بعضها ببعض.

3. إنَّ مقصد كل سورة في القرآن الكريم له علاقة بالمقاصد العامّة للقرآن الكريم، فمثلاً: مقصد سورة فصلت إثبات وحدانية الله تعالى، وهو الموضوع الذي ركزت عليه سور القرآن الكريم. وتبدو هناك علاقة واضحة أيضاً بين مقصد سورة فصلت، والمقاصد العامة لمجموعة سور الحواميم، فالمقاصد العامة لسور الحواميم تقوم بإثبات وحدانية الله تعالى من خلال إبطال شبهات الكافرين وذكر مظاهر وحدانية الله تعالى وتفردّه بالألوهية، وكذلك نجد أن المقاصد العامة للقرآن تبحث في إثبات وحدانية الله تعالى.

ثانياً: التّوصيات

1. الاهتمام في كشف العلاقة بين المناسبات ومقاصد القرآن في مجموعة السور التي تشترك بالافتتاحية، مثل مجموعة السور التي تفتتح ب (ألم)، أو المسبّحات، أو الطواسين، وغيرها.
 2. كما أوصي إيجاد مساق يدرس للطلاب، يتناول موضوع علم مقاصد القرآن، لأن بعض طلاب التفسير يفتقرون لهذا العلم، أو إنشاء محاضرات تتناول هذا الموضوع بكل جوانبه.
- وفي الختام أدعو الله تعالى أن يتقبّل مني هذا الجهد المتواضع، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يثيبني وأهلي وأحبتي به الجنة، إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

المصادر

مسرّد الآيات القرآنيّة

مسرّد الأحاديث النبويّة

مسرّد الأعلام

مسرد الآيات القرآنية

السورة	طرف الآية	رقمها	الصفحة
الفاتحة	﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	6	18
البقرة	﴿الْم ۝ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾	2-1	18
البقرة	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾	5-3	32
البقرة	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	6	32
البقرة	﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنكُم وَيَدْرُوتِ أَزْوَاجًا﴾	240	14
الأعراف	﴿يَبْنِي ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُم لِبَاسًا يُورِي سَوَآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾	26	32
الأأنفال	﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾	5	31
التوبة	﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾	42	10
النحل	﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾	9	10
النحل	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾	90	14
الإسراء	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾	23	24
الأنبياء	﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	10	1
الأنزباء	﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ﴾	51-11	31
الأنبياء	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾	18-16	30
ص	﴿كَتَبَ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾	29	1
الفرقان	﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾	54	7
الفرقان	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾	67	11

31	2	﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾	سبأ
18	54	﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مَُّرِيبٍ﴾	سبأ
11	32	﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾	فاطر
73	3-1	﴿حَمَّ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾	غافر
41	9-7	﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾	غافر
85	9-8	﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾	غافر
40	12-10	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾	غافر
85	12-10	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾	غافر
40	19-17	﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	غافر
93	21	﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ﴾	غافر
93	47	﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾	غافر
42	58-55	﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ...﴾	غافر
93	55	﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾	
93	56	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾	غافر

93	58	﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾	
90	58-55	﴿فَاصْبِرْ إِنَّا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾	غافر
94	68-67	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾	غافر
85	76-69	﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾	غافر
86	69	﴿أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾	غافر
43	81-79	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَمَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾	غافر
94	82	﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾	غافر
94	85-84	﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾	غافر
73	4-1	﴿حَمَّ ۝ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾	فصلت
65	3	﴿كَتَبَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ وَقُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	فصلت
95	5	﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾	فصلت
60	8-5	﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾	فصلت
95	13-9	﴿قُلْ أَيْتَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَٰنْدَادًا ذَٰلِكُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	فصلت
65	10	﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾	فصلت
65	12	﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾	فصلت
96	18-14	﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا	فصلت

		تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ۖ	
فصلت	86	18-15 ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ...﴾	
فصلت	86	24-19 ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ.....﴾	
فصلت	96	24-19 ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾	
فصلت	40	24-16 ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ...﴾	
فصلت	96	29-25 ﴿وَقِصْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾	
فصلت	97	32-30 ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾	
فصلت	88	32-30 ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾	
فصلت	97	36-33 ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾	
فصلت	97	33 ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾	
فصلت	97	34 ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾	
فصلت	97	35-34 ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾	
فصلت	98	39-37 ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ﴾	
فصلت	98	40 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخَفُونَ عَلَيْنَا﴾	
فصلت	98	43-41 ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾	
فصلت	82	40-37 ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا﴾	

		لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ ﴿١﴾	
98	49-44	﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ۖ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۚ﴾	فصلت
99	48-47	﴿إِلَيْهِ يُرْدُ عَامُ السَّاعَةِ ۚ﴾	فصلت
99	52-49	﴿لَا يَسْمُرُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَعْوُسْ قَنُوطٌ ۚ﴾	فصلت
99	54-53	﴿سَرُّبِهِمْ ءَايَتُنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۚ﴾	فصلت
35	4-1	﴿حَمِّ ۝ عَسَق ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾	الشورى
100	3	﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾	الشورى
100	4	﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾	الشورى
101	6-5	﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ﴾	الشورى
101	10-7	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾	الشورى
101	12-11	﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾	الشورى
102	16-13	﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾	الشورى
102	19-17	﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾	الشورى
103	20	﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾	الشورى
103	23-21	﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾	الشورى

103	24	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾	الشورى
103	26-25	﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾	الشورى
104	27	﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ يَعْبَادُهُ خَيْرٌ بَصِيرٌ﴾	الشورى
104	29-28	﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا فَتَقُطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾	الشورى
104	43-36	﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	الشورى
105	47-44	﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾	الشورى
83	48	﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾	الشورى
105	50-48	﴿وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّجَ بِهَا﴾	الشورى
105	53-51	﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾	الشورى
83	49	﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِ شَاءَ﴾	الشورى
43	50-49	﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِ شَاءَ وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾	الشورى
83	50-49	﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِ شَاءَ وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾	الشورى
35	52	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾	الشورى
106	6-5	﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾	الزخرف
106	8-7	﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾	الزخرف
77	13-9	﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ	الزخرف

		خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿١٠٦﴾	
43	13-10	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾	الزخرف
106	10	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾	الزخرف
76	15	﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾	الزخرف
107	18-15	﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾	الزخرف
76	20	﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾	الزخرف
75	22-15	﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾	الزخرف
107	23-20	﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾	الزخرف
76	21	﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾	الزخرف
107, 76	22	﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾	الزخرف
108	25-23	﴿وكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾	الزخرف
77	32-31	﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾	الزخرف
77	32	﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾	الزخرف
108	35-31	﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾	الزخرف
67	35-34	﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابٌ وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ﴾	الزخرف
108	44-36	﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾	الزخرف
1	44	﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾	الزخرف
108	45	﴿وَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ	الزخرف

		الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿١٠٨﴾	
108	56-46	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾	الزخرف
109	65-57	﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿١١٠﴾﴾	الزخرف
89	66-65	﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلِيمٍ ﴿١١١﴾﴾	الزخرف
89	73-67	﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿١١٢﴾﴾	الزخرف
61	74	﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١١٣﴾﴾	الزخرف
87، 61	77-74	﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١١٤﴾﴾	الزخرف
109	77-66	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١٥﴾﴾	الزخرف
41	73-69	﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿١١٦﴾﴾	الزخرف
87	73-67	﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿١١٧﴾﴾	الزخرف
110	83-81	﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴿١١٨﴾﴾	الزخرف
79	81	﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ ﴿١١٩﴾﴾	الزخرف
79	83	﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَهِمُ الْيَوْمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿١٢٠﴾﴾	الزخرف
110	87-84	﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿١٢١﴾﴾	الزخرف
110	89-88	﴿وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّا هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾	الزخرف
78	86-78	﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿١٢٣﴾﴾	الزخرف
74	4-3	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿١٢٤﴾﴾	الدخان
45	6-4	﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿١٢٥﴾﴾	الدخان
45	6	﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٦﴾﴾	الدخان
45	7	﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿١٢٧﴾﴾	الدخان

45	9-7	﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾	الدخان
45	9	﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾	الدخان
68	10	﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾	الدخان
45	16-10	﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾	الدخان
46	33-17	﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾	الدخان
79	39-34	﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى﴾	الدخان
46	37-35	﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَنُؤَا بِعَابَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	الدخان
46	39-38	﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾	الدخان
47	50-40	﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	الدخان
47	57-51	﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾	الدخان
89	59-51	﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾	الدخان
47	59-58	﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	الدخان
74	2-1	﴿حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾	الجاثية
49	2	﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾	الجاثية
49	5-3	﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	الجاثية
43	6-3	﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	الجاثية
89	6-3	﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	الجاثية
49	6	﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَأَيْتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾	الجاثية
41	11-7	﴿وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ....﴾	الجاثية
87	11-7	﴿وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ.....﴾	الجاثية
43	13-12	﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَسْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾	الجاثية

49	13-12	﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾	الجاثية
49	15-14	﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾	الجاثية
50	17-16	﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ.....﴾	الجاثية
69	18	﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	الجاثية
42	19-18	﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	الجاثية
50	20-18	﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...﴾	الجاثية
50	22-21	﴿أَمَرَ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُم كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ.....﴾	الجاثية
51	23	﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ﴾	الجاثية
51	24	﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾	الجاثية
51	26-25	﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا اتُّوْا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	الجاثية
51	27	﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْحَسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾	الجاثية
42	30	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾	الجاثية
42	35-33	﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾	الجاثية

		﴿٣٢﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾	
52	35-28	﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	الجاثية
52	37-36	﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	الجاثية
74	2-1	﴿حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾	الأحقاف
54	2	﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾	الأحقاف
54	3	﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذَرُوا مُعْرِضُونَ﴾	الأحقاف
54	4	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾	الأحقاف
54	6-5	﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾	الأحقاف
55	7	﴿وَإِذَا تَنَادَى عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا يَنبَغِ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾	الأحقاف
80	12-7	﴿وَإِذَا تَنَادَى عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا يَنبَغِ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾	الأحقاف
80	8	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾	الأحقاف
81	9	﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾	الأحقاف
55	10-8	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾	الأحقاف
81	10	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ﴾	الأحقاف
81	11	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا﴾	الأحقاف

		إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿٥٥﴾	
55	12	﴿وَمَنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۖ وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانِ عَزَبِيَّا لِّنَذِرِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾	الأحقاف
56	14-13	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَلُّوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	الأحقاف
56	15	﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾	الأحقاف
57	15	﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا﴾	الأحقاف
57	16	﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾	الأحقاف
57	17	﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أُفٍّ لَّكَ مَا أَتَعَدَّيْنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَيْتَ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾	الأحقاف
57	18-17	﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أُفٍّ لَّكَ مَا أَتَعَدَّيْنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَيْتَ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي﴾	الأحقاف
57	20-19	﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾	الأحقاف
41	20	﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلْهَبْتُمْ طَيِّبَتَكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا﴾	الأحقاف
57	26-12	﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّجُومُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ....﴾	الاحقاف
70	21	﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾	الاحقاف
58	28-27	﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْفُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَالَهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكُمْ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا	الاحقاف

		يَفْتُرُونَ ﴿٥٨﴾	
58	32-29	﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾	الاحقاف
58	33	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ بِقَدِيرٍ﴾	الاحقاف
59	34	﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾	الأحقاف
59	35	﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾	الاحقاف
76	56	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	الذاريات
33	8	﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	الحديد
33	9	﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	الحديد
25	3-1	﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾	التين
74	1	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾	القدر

مسرد الأحاديث النبوية

الصفحة	المرجع	طرف الحديث
14	مسند أحمد	(كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا إذ شَخَصَ ببصره...)
14	صحيح البخاري	(عن ابن الزبير: قلت لعثمان: (هذه الآية التي في البقرة...)
15	صحيح مسلم	(ما سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء أكثر ما سألته عن الكلاله حتى...)
15	صحيح مسلم	(من حفظ عشر آيات من أول الكهف عصم من الدجال)
16	مسند أحمد	(أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين...)
19	صحيح مسلم	(صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع...)
20	مسند أحمد	(إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مما يأتي عليه الزمان ينزل عليه من...)

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت:502هـ)، المفردات في غريب القرآن، ق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، (ط1\1412هـ).
- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين (ت:1420هـ)، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مكتبة المعارف، الرياض، (ط1\1415هـ).
- الألباني، محمد ناصر الدين (ت:1420هـ)، ضعيف سنن الترمذي، ق: زهير الشاويش، مكتبة التربية العربية، الرياض، (ط1\1411هـ).
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (ت:1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ق: علي عبد الباري، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1\1415هـ).
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (ت:)، (صحيح البخاري)، ق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، بيروت، (ط1\1422هـ).
- البغوي، أبو محمد بن الحسين (ت:516هـ)، شرح السنة، ق: شعيب الارنؤوط، المكتبة الإسلامية، دمشق، (ط2\1403هـ).
- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت:510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1\1420هـ).
- أبو البقاء الحنفي، أيوب بن موسى الحسيني (ت:1094هـ)، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1\1419هـ).

- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن (ت:885هـ)، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، مكتبة المعارف، الرياض، (ط1\1408هـ).
- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت:885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ق: عبد الرازق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1\1415هـ).
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله (ت:685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1\1418هـ).
- حامدي، عبد الكريم، مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، دار ابن حزم، الجزائر، (ط1\1429هـ).
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين (ت:816هـ)، التعريفات، ق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1\1403هـ).
- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت: 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1\1421هـ).
- حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، (ط6\1424هـ).
- الخادمي، نور الدين بن مختار، الاجتهاد المقاصدي: حجته، ضوابطه، مجالاته، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الدوحة، (ط1\1998م).
- الخادمي، نور الدين بن مختار، علم المقاصد الشرعية، مكتبة العبيكان، (ط1\1421هـ).
- الخطيب، عبد الكريم يونس (ت: 1390هـ)، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، (ط1\1419هـ).
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت:808هـ)، مقدمة ابن خلدون، ق: درويش الجويدي، المكتبة المصرية، صيدا بيروت، (ط2\1416هـ).

- دراز، محمد بن عبد الله (ت:1377هـ)، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، ق: عبد العظيم إبراهيم ألمطعني، دار القلم، دمشق، (ط2\1426هـ).
- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن (ت:606هـ)، مفاتيح الغيب التفسير الكبير، احياء التراث العربي، بيروت، (ط3\1420هـ).
- راغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت:502هـ)، المفردات في غريب القرآن، ق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، (ط1\1412هـ).
- الريسوني، أحمد الريسوني، مقاصد المقاصد: الغايات العلمية والعملية لمقاصد الشريعة، الشركة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، (ط1\2013م).
- الريسوني، أحمد، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، بيروت، (ط2\1412هـ).
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت:1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الرياض، (ط1\1965م).
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر، دمشق، (ط2\1418هـ).
- الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت:1367هـ)، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى الحلبي، دمشق، (ط3\1313هـ).
- الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين (ت:794هـ)، البرهان في علوم القرآن، ق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، (ط1\1376هـ).
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد (ت:1396هـ)، الإعلام، دار العلم للملايين، الرياض (15\2002م).

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (ت: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط3\1407هـ).
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت: 538هـ)، أساس البلاغة، ق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1\1419هـ).
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1\1420هـ).
- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد (ت: 373هـ)، بحر العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1\1413هـ).
- ابن سيده المرسى، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: 458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، ق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1\1421هـ).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ)، معترك الإقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1\1408هـ).
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، ق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ط1\1394هـ).
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد (ت: 790هـ)، الموافقات، أبو عبيدة مشهور بن حسن، دار ابن عفان، القاهرة، (ط1\1417هـ).
- شحاته، عبد الله محمود، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، الهيئة المصرية العامة، مصر، (ط1\1369هـ).
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد اليمني (ت: 1250هـ)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ق: أحمد عزوخ عناية، دار الكتاب العربي، دمشق، (ط1\1419هـ).

- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبنانية، بيروت، (ط1\1982م).
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد (ت:310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1\1420هـ).
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (ت:1393هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، (ط1\1984هـ).
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (1393هـ)، مقاصد الشريعة الإسلامية، ق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، (ط1\1425هـ).
- عباس، فضل، إعجاز القرآن الكريم، دار الفرقان، عمان، (ط1\1991م).
- ابن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز (ت:660هـ)، قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (ط1\1414هـ).
- ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبد الحق (ت:542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1\1422هـ).
- أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد (ت:444هـ)، البيان في عد آي القرآن، ق: فرغلي عرباوي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1\2011).
- أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان (ت:444هـ)، المقتع في رسم مصاحف الأمصار، ق: محمد الصاد قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، (ط1\1398هـ).
- العيص، زيد عمر، التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل، مكتبة الرشد، الرياض، (ط1\1426هـ).
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت:505هـ)، جواهر القرآن، ق: محمد رشيد رضا، دار إحياء العلوم، بيروت، (ط2\1406).

- الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت:393هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، (ط4\1407هـ).
- ابن فارس، أحمد بين فارس القزويني (ت:395هـ)، معجم مقاييس اللغة، ق: عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، (ط1\1979م).
- الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد (ت: 817هـ)، القاموس المحيط، ق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط8\1426هـ).
- قطب، سيد إبراهيم حسين الشاذلي (ت:1966م)، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، (ط1\1972م).
- ابن قدامه، أبو محمد موفق الدين (ت:620هـ)، روضة الناظر وجنة المناظر، مؤسسة الريان، (ط2\1423هـ).
- القرني، عبد الله بن مقبل بن ظافر، المناسبات في القرآن الكريم ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، (1413هـ).
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت:45هـ)، لطائف الإشارات، ق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية، مصر، (ط3\2000م).
- القطان، مناع بن خليل (ت:1420هـ)، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، (ط3\1421هـ).
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، ق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، (ط2\1420هـ)، (434\8).
- الكردي، محمد طاهر بن عبد القادر (ت:1400هـ)، تاريخ القرآن الكريم، مصطفى محمد، مطبعة الفتاح، جدة، (ط1\1365هـ).

- الكرمانى، محمود بن حمزة بن نصر (ت:505هـ)، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة، مكة، (ط1\1986م).
- محمد سعد، محمود توفيق، الإمام البقاعي ومنهجه في تأويل بلاغة القرآن، المكتبة الشاملة، (ط1\1424هـ).
- المخلافي، رضوان جمال الأطرشو نشوان عبده خالد، التفسير المقاصدي اشكالية التعريف والخصائص، مركز بحوث القرآن، ماليزيا، 2013م.
- مسلم، بن الحجاج القشيري، (صحيح مسلم)، ق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، (ط1\1412هـ).
- مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، (ط4\1426هـ).
- ابن معصوم المدني، علي بن أحمد بن محمد (ت:1119هـ)، أنوار الربيع في أنواع البديع، ق: شاكِر هادي شكر، (ط1\1388هـ).
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت:711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (ط3\1414هـ).
- الندوي، أبو الحسن علي الحسني، تأملات في القرآن الكريم، دار القلم، دمشق، (ط1\1411هـ).
- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد (ت:710هـ)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، (ط1\1419هـ).
- الهيثمي، على بن أبي بكر (ت:807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، (ط1\1414هـ).

المواقع الإلكترونية

- <http://www.sebhau.edu.ly/suj/paper/b41.pdf>
- <http://b7oth.com/wp-content/uploads/2015/03/09>
- <http://www.damascusuniversity.edu.sy/mag/law/images/stories/459-502.pdf>
- <http://islamiyyat.com/1-82>
- <https://www.almeshkat.net/books/archive/books/mkased.pdf>
- <https://www.almeshkat.net/books/archive/books/mkased.pdf>

An-Najah National University
Faculty of Graduated Studies

**The Relationship Between the Occasions
and the Purposes of the Qur'an in the
Hawamim
(Surahs Beginning with Ha Mim)**

By

Hedaya Abdul Rahman Mohammed Al-Mitani

Supervised by

Pro. Odeh Abdullah

Dr. Saeed Ibrahim Dweikat

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements
for the Degree of Master of Fundamentals of Islamic Law (Usul Al-
Din) Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University,
Nablus, Palestine.**

2020

**The Relationship Between the Occasions and the Purposes of the
Qur'an in the Hawamim
(Surahs Beginning with Ha Mim)**

**By
Hedaya Abdul Rahman Mohammed Al-Mitani
Supervised by
Pro. Odeh Abdullah
Dr. Saeed Ibrahim Dweikat**

Abstract

This study is a practical study of the Hawamim in the holy qur'an to uncover the gap between the occasions and the purposes of the Qur'an. The relationship between them is complementary as both of which help to understand the other, and both help in the interpretation of the Qur'an.

I divided the study into four chapters in addition to an introduction and a conclusion. The introduction included the importance of this topic, the reasons for choosing it in addition to the previous studies and the research methodology. As for the chapters, the first chapter was about the meaning of occasions and the purposes of Qur'an in language and convention and the arrangement of the holy Qur'an. The second chapter, entitled The importance of the science of occasions and the purposes of the Qur'an and the relationship between them and ways of detecting them. The third chapter is about the role of the science of occasions in the statement of Qur'anic purposes in the Hawamim, while the fourth chapter is about the applied study of the Hawamim.

The study reached a set of conclusions, the most important of which was that the purposes of the Qur'an are an integral part of the science of

occasions and vice versa. That is because each complements the other, and the relationship between them is complementary, both of which are a means of understanding and interpreting the Qur'an.